الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Sciences Sociales et Humaines

قسم الفلسفة

تخصص : فلسفة العلوم

العنوان:

إبستيمولوجيا باشلار وصلتها بالتحليل النفسي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبين :

- حميش نسيمة
- عليلوش ججيقة

إشراف الأستاذ :

د-سليماني أحمد

السنة الجامعية

2017/2016

كلمة شكر

نتقدم بجزيل الشكر وبكل معاني التقدير والامتنان و الثناء إلى أستاذنا الدكتور "سليماني أحمد" الذي قبل مهمة الإشراف على هذا البحث، و لا يتحمل فيه إلا ما كان سديدا وصائبا من الآراء.والذي لم يبخل علينا بوقته وتوجيهاته، فكان كنور أضاء بحثنا ،أدامه لله للعلم والوطن.

وكما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى كل الأساتذة الكرام الذين أثرونا بمعرفتهم والذين هم أغنياء بقناعتهم وكبار بتواضعهم والذين علموني معنى الفلسفة وقيمتها.

إهداء

إلى من انتظرتني تسعة أشهر والدتي استقبلتني بدموعها وفرحتها وربتني على حساب صحتها والتي ستبقى أعظم حب بقلبي وأعز إنسان في حياتي والتي من أجلها احترمت كل النساء التي هي الغالية:**أمي**

إلى أسمى شخص في الوجود ورمز الحب والخلود والذي أحمل له في القلب كل الاحترام والود إلى الغالي:**أبي**

إلى كل عائلة :إخوتي وأخواتي وكل أولادهم

إلى كل أصدقائي من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي

وخاصة الذين ساعدوني كثيرا **"حجيلة" و"ياسين"و"صبرينة"**

نسيمة.

إهداء

إلى من انتظرتني تسعة أشهر والدتي استقبلتني بدموعها وفرحتها وربتني على حساب صحتها والتي ستبقى أعظم حب بقلبي وأعز إنسان في حياتي والتي من أجلها احترمت كل النساء التي هي الغالية:**أمي**

إلى أسمى شخص في الوجود ورمز الحب والخلود والذي أحمل له في القلب كل الاحترام والود إلىروحيوالدي الطاهرةالزاكية :أبي

إلى كل عائلة :إخوتي وأخواتي وكل أولادهم

إلى من شاركتني في هذا البحث الأخت "نسيمة" وعائلتها

إلى كل أصدقائي من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي وخاصة الذين ساعدونيكثيراالغالية **"مريم" و"مليكة" و"سميرة"**

جميقة.

مقـــــدمة

مقدمـــــة :

منذ النصف الأول من القرن العشرين كانت المدرسة الفرنسية منشغلة بإشكالية تطور العلم الذي كان محل جدل كل العلماء و على رأسهم نجد "غاستون باشلار "مؤسس العقلانية الجديدة ورائد النظرية الانفصالية التي يستند فيها إلى مبدأ القطيعة، وارتكز في ذلك على أكبر الثورات التي عرفها العلم الحديث والمعاصر متمثلة في الهندسات اللاإقلدية ونظرية النسبية و الكوانطا.

كان "غاستون باشلار" من أهم المتخصصين في فلسفة العلوم وجعل من الفلسفة هدفا يتمثل في رفضها للأنساق الفلسفية المثالية الدوغمائية ونقدها، فكان له موقف فلسفي جديد يقف عنده والمتمثل في الموقف العقلاني الذي يعتمد على التجربة ولا يتخلى عليها في علمه .

إن "باشلار" من أنصار القطيعة ويرى أن الواقع الذي يدرسه العلم في تطوره واقع مصطنع ومبني، لأن الواقع العلمي قد صار بنيات، ولهذا يجب النظر إلى الفلسفة العلمية بذاتها دون استخدام أي أفكار قبليةلأنّ العلم هو أفكار مصححة باستمراروتتحول كل فكرة إلى عقبة إبستيمولوجية، ولهذا فعلى فيلسوف العلم أن يرسم ما يسميه الجانبية الإبستيمولوجية وهو الوجه المعرفي الجانبي لمختلف الصيغ المفهومية لظاهرة ما،فتطور المعارف يحدث بالقفزات وتجاوز العقبات الإبستيمولوجية، فالتقدم العلمي عنده قائم على قطع الصلة مع العلم القديم .

إن مشروع "باشلار" كان مهتما بفلسفة العلم ثم صار منجذبا وبشكل كلي إلى التحليل النفسي الذي وضعه العالم النفساني المشهور "سيغموند فرويد" ومن أهم كتبه التي يتجلى فيها تأثره بالتحليل النفسي نجد كتابه" النار في التحليل النفسي " ،"لهب شمعة" وتعتبر هذه الكتب أهم كتبه في التحليل النفسي التي أراد من خلالها أن يبين كيف طور مفاهيم وعناصر ومنهج التحليل النفسي من الجانب المعرفي .

كما أن الفرع الأساسي من الجانب المعرفي عند "باشلار" هو العلم الذي يسمى "علم العلم" أي الإبستيمولوجيا التي تتناول البحث في أهداف العلوم وحدودها وعلاقة بعضها ببعض ونحن في بحثنا هذا حاولنا معرفة العلاقة بين إبستيمولوجيا "باشلار" والتحليل النفسي الذي حاول "باشلار" الاستفادة منهم لأجل فهمٍ أعمق لعملية المعرفة العلمية، فهي حسبه تحتوي على شروط نفسية ينبغي الكشف عنها فهو يدعوالإبستيمولوجيا للاهتمام بالجانب النفسي للمعرفة العلمية وذلك بتوظيف الجانب التحليلي النفسي في الجانب العلمي الإبستيمولوجي،ومن أهم الأنماط الفكرية التي تمرحلت هي التأويل النفسي للمعرفة الموضوعية،ولذا قام بالتحليل النفسي للمعرفة وإظهار بعض العوائق الإبستيمولوجية التي تعرقل الإدراك السليم والموضوعي للأشياء ومن أهم هذه الأشياء نجد طاهرة النار التي درسها بشكل جيد.

ولذلك حاول "باشلار" البدء بإزالة كل التصورات الخاطئة والسابقة والقديمة وفي سبيل ذلك حاول القيام بتحليل نفسي لمجموعة من المعارف والمفاهيم التي تحدد العوائق التي تشكل دائما حاجزا أمام بلورة التصورات الموضوعية، وهذه العوائق ستمكننا من نسج معرفة حقيقية وصحيحة،وتفصِلنا بشكل كلي عن الماضي غير العلمي لكل تاريخ معرفي، فعند "باشلار" يجب تشكل الفكر العلمي الجديد والمساهمة في التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية لأن التحليل النفسي للفكر العلمي يمكن في حقيقة الأمر الكشف عن بنية الفكر التي تعمل على تضليل الفكر من الوصول إلى الحقيقة الموضوعية، ولهذا تكون الإشكالية الرئيسية التي أثرناها في بحثنا هذا كما يلي :ماعلاقة إبستيمولوجيا "باشلار" بمنهج التحليل النفسي؟ وكيف وظّف "باشلار" منهج التحليل النفسي في الإبستيمولوجيا؟.

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات أساسية أو جزئية يتوجب علينا الوقوف عندها والتي تتمثل في:أولا: ماهو التحليل النفسي وماهي الإبستيمولوجيا بشكل عام؟وكيف تطورا عبر التاريخ ؟ ثانيا: ماطبيعة الإبستيمولوجيا وما هي مبادئها الأساسية عند باشلار؟ ثالثا: ماهي الأسس التي بني عليها "باشلار" نظريته العلمية؟ورابعا:كيف دعا "باشلار"الإبستميولوجيا لتكون المبدأ الأساسي لممارسة التحليل النفسي؟خامسا: كيف ساهم

الفكر العلمي الجديد في التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية والكشف عن العائق الإبستيمولوجي؟

و من بين أهم الأسباب الذاتية التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع يعود إلى مدى اهتمامنا بمعرفة كيف طور "باشلار" التحليل النفسي الذي اكتشفه "سغموند فرويد"،وكذلك المكانة التي يحتلها "باشلار" كفيلسوف علم من بين فلاسفة العلم،إذ أنه أهم فيلسوف خطا خطوة كبيرة نحو تطوير التحليل النفسي وذلك بممارسة المنهج العلمي،وكذلك رغبة منا في تحسين معارفنا العلمية في التخصص.

وأماالأسباب الموضوعية التي دفعتنا لاختيار هذا البحث تتمثل في:أولا تخصصنا في فلسفة العلوم،ثانيا اهتمامنا بمعرفة أهم فلاسفة العلم "باشلار" وكيف طور أفكار الفلسفة القديمة إلى أفكار جديدة فأثرى العلم بفكره وعطائه في مختلف المواضيع وخاصة منها التحليل النفسي ويتجلى ذلك في كتبه العديدة وأهمها كتاب "النار في التحليل النفسي"ونظرا لأهمية فكره الذي يتمثل في الفكر العقلاني التجريبي ،ويراهن على مشروعه في تحقيق فكر علمي جديد بما ينطوي عليه من ثورات علمية إبستيمولوجية .

أما فيما يخص أهمية دراستنا لهذا الموضوع فهي تتمثل فيما يلي،الكشف عن أهمية أعظم فيلسوف فرنسي الأكثر عصرية وكيف أنه كرس جزءا كبيرا من حياته وعمله لفلسفة العلوم،وكما أردنا أن نكشف عن الأفكار المتميزة التي قدمها في مجال الإبستيمولوجيا التي تتمثل في مفهوم العقبة المعرفية والقطيعة الإبستيمولوجية،وإبراز مدى أهمية المساهمات التي قدمها لنا ،والتي لا يمكن تجاوزها بل تركت أثرا واضحا في الفلسفة المعاصرة،وإبرازأهمية دعوته إلى التحليل النفسي للمعرفة العلمية وضرورة التحليل الإبستيمولوجي لأنه متكامل مع علم الإنسان أو علم النفس،وإبراز النقاط التي استفادت منها الإبستيمولوجيا من التحليل النفسي وكيف وظفت فيها .

أما بخصوص الدراسات السابقة يمكن القول أن البحث في مسألة إبستيمولوجيا "باشلار" وعلاقتها بالتحليل النفسي،قد وجدنا حوله بعض الدراسات لكنها تتحدث على

إبستيمولوجيا "باشلار" أكثر مما تتحدث عن التحليل النفسي عنده،وأهم تلك الدراسات التي وجدناها هي:أولا عثمان عي،بنية المعرفة العلمية عند "غاستون باشلار"،رسالة ماجستير،غير منشورة ،قسنطينة ،2007: وفيها تحدث عن إبستيمولوجا "باشلار" ،وكما أنه تحدث عن التحليل النفسي وعلاقته بها ،

ثانيا: عائشة نحوي، العلاج النفسي عن طريق البرمجة العصبية اللغوية، هي رسالة الدكتوراه غير منشورة، بجامعة الإخوة قسنطينة، 2009: وفيها أشارت إلى التحليل النفسي والإبستيمولوجيا عند "باشلار"

ثالثا: براق نسيمة، الجابري بين ناقديه مقاربة إبستيمولوجيا في نقد جورج طرابيشي، نموذجا،هي رسالة ماجستير ,غيرمنشورة، جامعة سطيف، 2013:وفيها أشارت إلى إبستيمولوجيا "باشلار".

ولقد اعتمدنا على خطة تغطي جوانب الإشكاليةالأساسية،وتستجيب لمسعانا المنهجي الذي يقوم عليه التحليل الموضوعي وتتألف هذه الخطة من ثلاث فصول وهي كالأتي: الفصل الأول الذي عنوانه هو،التحليل النفسي والإبستيمولوجيا، ويحتوي هذا الفصل على مبحثين،أما المبحث الأول تحدثنا فيه عن مفهوم التحليل النفسي العام خاصة عند "فرويد" باعتباره هو مكتشف التحليل النفسي،وتحدثنا أيضا كيف ارتبط التحليل النفسي بالحركات الفكرية وكيف ظهر المصطلح، وعن نشأته الأولى ومروره عبر مراحل عديدة ليتوصل "فرويد" وأصدقائهإلى اكتشافه ، وكما أننا تحدثنا عن تطور التحليل النفسي وعن الانتقادات التي وجهت له من طرف محللينآخرينفي مجال علم النفس من جانب المنهج ومن جانب الاكتشافات الجديدة.

أما المبحث الثاني خصصناه للإبستيمولوجيا، وتناولنا مفهومها بشكل عام ،وكيف ظهرت وتطورت،وقارناها مع نظرية المعرفة تعرضنا إلى الموقف الذي يجمعهما والموقف الذي يفصل بينهما ويتمثل في الاتجاه الفرنسي، وذلك من أجل الدخول في الفصل الثاني .

والذي يتمثل في العنوان التالي:"إبستيمولوجيا"باشلار"،وقسمنا هذا الفصل إلىأربعة مباحث تتمثل في أولا: الفكر الإبستيمولوجي الباشلاري، وتحدثنا فيه عن طبيعة إبستيمولوجيا"باشلار" وعن الأسس التي بنى عليها نظريته المعرفية .

وأما المبحث الثاني فعنوانه هو الإبستيمولوجيا اللاديكارتية وفي هذا المبحث تحدثنا عن كيفية نقد "باشلار" "لديكارت" ، وأما المبحث الثالث فيتمثل في العائق الإبستيمولوجي وتناولنا فيه أنواع العوائق الإبستيمولوجية التي تحدث عنها "باشلار" وكيف أعاقوا طريق تطور المعرفة العلمية.

وأما المبحث الرابع الذي يتمثل عنوانه الفلسفة المفتوحة، فتحدثنا فيه عن الطابع النقدي الذي ميز فكر "باشلار" وكيف نقد الفلسفةالواقعية والمثالية وكيف دعا إلى بناء فلسفة متفتحة على جميع النظريات .

ثم انتقلنا إلى الفصل الثالث والأخير والذي يتمثل عنوانه: في "توظيف "باشلار" للتحليل النفسي في "الإبستيمولوجيا" ، وهو بدوره قسمناه إلى ثلاثة مباحث،أولا: تطرقنا إلى عناصر التحليل النفسي البشلاري،وفيه تحدثنا عن تأثر "باشلار" بمدرسة التحليل النفسي وبمؤسسها "فرويد" و"يونغ" وكيف وظف المفاهيم التي جاء بها في الإبستيمولوجيا ليطلق اسم التحليل الإبستيمولوجي وذلك في ظل المعرفة العلمية الموضوعية .

وأما المبحث الثاني الذي عنوانه:"الموضوعية العلمية والتحليل النفسي"،وفيه تحدثنا عن كيفية ممارسة "باشلار" للتحليل النفسي في مجال الإبستيمولوجيا وكيف استفادت منه .

وأما المبحث الثالث والأخير فيتمثل بعنوان:"الليبيدو والمعرفة الموضوعية"،وفيه تحدثنا عن عائق الليبيدو كيف يقف عقبة أمام المعرفة الموضوعية ويعيقهاو"باشلار" أعطى أمثلة كثيرة ليوضح لنا ذلك .

ثم ننتقل إلى نوع المنهج الذي استرشدنا به في بحثنا هذا واستعملنا أولا"المنهج التحليلي" وذلك بغرض توضيح الدلالات الفكرية والعلمية والكشف عن

العناصرالإبستيمولوجيا والتحليل النفسي وكيفية بنائها وهذا بالتركيز على النصوص البشلارية .

وكما أننا أيضا اعتمدنا على "المنهج النقدي" لأن الفكر "الباشلاري" عبارة عن معرفة علمية ذات طبيعة جدلية وكما استعملنا في بعض الأحيان المنهج التاريخي لتتبع المفاهيم الأساسية ومقارنتها مع المفاهيم "الباشلارية" .

وأما الصعوبات التي واجهتنا أثناء بحثنا،و من أهمها: عدم إيجاد بعض أهم المصادر والمراجع رغم أننا بحثنا عنها مطولا في مكتبات أخرى والانترنت،وزيادة على ذلك صعوبة التعامل مع الفكر الباشلاري فهو معقد خاصة فيما يخص مصادره في التحليل النفسي وذلك يرجع إلى استعماله للرموز .

الفصل الأول:

التحليل النفسي والإبستيمولوجيا

الفصل الأول: التحليل النفسي والإبستيمولوجيا

المبحث الأول: التحليل النفسي.

أ-مفهوم التحليل النفسي.

ب- ظهور التحليل النفسي.

ج - تطوّر التحليل النفسي والانتقادات الموجّهة له.

المبحث الثاني: الإبستيمولوجيا.

أ- مفهوم الإبستيمولوجيا.

ب- ظهورالإبستيمولوجيا وتطوّرها.

ج- بين نظرية المعرفة والإبستيمولوجيا.

تمهيـــــد:

أسس "سيغموند فرويد"Sigmund Freud (1856-1939م) مدرسة التحليل النفسي فشهدت تطوّرات عديدة وبناءًا منهجيًّا يعود إليه العديد من الفلاسفة والمفكّرين.

تناولنا في فصلنا هذا مصطلحين وهما "التحليل النفسي" و"الإبستيمولوجيا" فعالجنا في البداية التحليل النفسي كمدرسة من مدارس علم النفس التّي تنوّعت مدارسه والاكتشافات التي توصّلت إليها مدرسة التحليل النفسي على يد مؤسسّها "سيغموند فرويد" وكذا أهم الانتقادات التي وجّهت إليها، لنختم بمصطلح الإبستيمولوجيا الذي ظهر على يد الفيلسوف الاسكتلندي"جيمس فريدريك فرير" لأوّل مرة ،فشهد هذا المفهوم عدة تّطورات.

الفصل الأول: التحليل النفسي والإبستيمولوجيا

المبحث الأول: التحليل النفسي.

أ- مفهوم التحليل النفسي:

قبل التّطرق إلى مفهوم التحليل النفسي لا بد أن نذكر كيف كان العلاج النفسي قبل ظهوره، فكما قال "برتراندراسل"(Bertrand Russell (1872-1970:« ونحن بصدد الحديث عن علم النفس وتاريخه هو ضرورة العودة إلى الفلسفات التي كانت المنطلقات النظرية لعلماء النفس ... للوقوف على دورها الكبير في نشاطهم العلمي".[1] ولفهم علم ما يجب أن نعود إلى التاريخ الذي نشأ منه ذلك العلم.

وفي هذا الصدد يجب أن نذكر مدارس علم النفس قبل ظهور التحليل النفسي فنجد علم النفس الحديث نشأ مع المدارس التالية:

1-المدرسة الأولى هي المدرسة البنيوية: أصبح علم النفس علما تجريبياً منفصلاً عن الفلسفة وذلك عندما أنشأ "ولهام فونت وندت" أوّل مختبر لعلم النّفس في جامعة "ليبترج" بألمانيا عام 1819، كان يستخدم المنهج الاستبطاني* في تحليل الخبرة الشعورية إلى عناصرها الحسية الأساسية.

وجاء بعده "نيتشز" 1867 وهو أحد تلامذته واتبع تعاليم أستاذه ومن أهم مؤلفاته "علم النفس التجريبي" (1901-1905) و"علم النفس" عام (1909).[2]

---

[1]- نقلا عن **بدر الدين عامود**، علم النفس في القرن العشرين،((د.ط)، دمشق، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 2001)، ص09.

***-**المنهج الاستبطاني:هو تأمل باطني ينصب على ما يجري في عالم الشعور،ومنه الاستبطان التجريبي وهو منهج سيكولوجي يتخلص في أن يوضع شخص تحت اختبار معينة ليصف شعور في أثناء هذه التجربة (إبراهيم مدكور،المعجم الفلسفي،ص10)

[2]- **بدر الدين عامودي**، مرجع سبق ذكره، ص174.

2- **المدرسة الثانية هي"مدرسة ورتسبورغ":** ومن أهم مؤسسي هذه المدرسة نجد "أسفالد كولب"(1862-1915) وهو أيضا أحد تلامذة "فوندت" أنشأ في مدينة "ورتسبورغ"مخبرًا للبحوث النفسية في أواخر القرن التاسع عشر.

وكما نجد "كولب" متأثرا"بفوندت" لكنه فيما بعد تحول إلى موقع آخر وعارض أستاذه حيث أصبح متأثرًا بفلسفة "ماخ"*E . Mach (1838-1616) الوضعية ومذهب "هوسرل"**E. Husserl1859-1938"الفنومولوجي".***

ثم أصبح يستخدم المنهج الاستبطاني الذي اعتبره الوسيلة الوحيدة لدراسة علم النّفس.[1]

3- المدرسة الثالثة هي المدرسة "الجشتالتية"ومن أهم روادها "ماكس فرتهيمر"Wert HEIMR(1880-1942م)،و"كورت كوفكا"KURT،KOFFKA(1886-1941)و"كوهلر"KOHLER والثلاثة ولدوا بألمانيا، وهذا الاتجاه أي الجشتالتي سمي نسبةً إلى جشتالت وهي كلمة ألمانية تعني الشكل أو الصيغة الكلية.

وهذا الاتجاه يرى أن الأشياء ندركها بشكل كلّي ثم يتميز إلى أجزاء ولهذا ينظرون إلى السلوك ككل وليس كجزئيات أو وحدات مستقلة كما تفعل المدرسة السلوكية.[2]

---

(1)- المرجع نفسه، ص(178-182).

*-إرنست ماخ: هو من العلماء الطبيعيين والنفسيين في النمسا ولد بطوراس في مورافيا وتلقى علومه في فينا وكان يعمل فيها أستاذ الطبيعة في (1895-1901)، كان له آراء في المسائل الدينية ممزوجة إلى حد كبير بآرائه الطبيعية والنفسية (وولف، فلسفة المحدثين والمعاصرين، تر: أبو العلا (ط2)، مكتب الإسكندرية، ص34.

**-هورسل: يعد زعيم الحركة الفلسفية المعروفة باسم"الفينومينولوجيا" أو مذهب الظاهريات، وهو فيلسوف ألماني، درس الرياضيات والعلوم الطبيعية (وولف: المرجع نفسه، ص93).

***- الفنومينولوجيا: هو البحث في الظواهر وهو الوصف لطائفة من ظواهر الأشياء مع مراعاة التطور التدريجي لها، وحصر الذهن في كل ما هو واقع في الزمان أو المكان أو في كليهما، (وولف: المرجع نفسه، ص93).

(2)- **عبد الستار إبراهيم**، الإنسان وعلم النفس، (عالم المعرفة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، فبراير 1985) ص51،52.

4- المدرسة الرابعة هي المدرسة السلوكية: نشأت في أوائل القرن العشرين في أمريكا على يد "برادوس واتسون"John.B.Watson(1878-1958م) الذي يرى أن أهم ما يدرسه علم النفس هو سلوك الإنسان ولهذا سميت بالمدرسة السلوكية.

ومن روادها "إدوارد ثوريدانك"Edward Thorndike (1874-1949م) وكان يدرس السلوك منذ شبابه وأجرى تجارب مختلفة على الأطفال في المرحلة ما قبل المدرسية وقد أسس مخبر في تاريخ علم النفس الحيواني.[1]

وبعد ذلك ظهر العديد من السلوكيين أمثال "كارل لاشلي"Carl Lashley (1890-1958م) و"ولتر هانتر"Walter Hunter(1886-1954م)، وقاموا بعدة تجارب، ويرد أصحاب هذه المدرسة دراسة السلوك يكون بالملاحظة وكل فكرة ليست سلوكا فهي ليست موضوع لعلم النفس.

5-المدرسة الخامسة هي "المدرسة القصدية": ومؤسسها "وليم مكدوغال" . W McDougall (1871-1938م) في القرن العشرين وجاء ضد المنهج الاستبطاني واتخذ من المنهج الموضوعي أساسا للدراسة النفسية وقد قال في هذا الموضوع: «إن علم النفس هو علم موضوعي يدرس سلوك الفرد ويفسره بغية التحكم فيه أو تكييفه مع المتغيرات الخارجية تكيفًا ناجحًا».[2]

فهو يعطي أهمية كبيرة للغرائز في الحياة النفسية عند الإنسان، حيث انتشرت أفكار هذه المدرسة في الو.م.أ. ولا تزال أفكارا هامة يستخدمها العلماء والمحللون النفسانيون.

وبعدها ظهرت مدرسة مهمة التي تتمثل في مدرسة التحليل النفسي والتي أسسها المحلل النفسي "سيغموند فرويد"*

---

(1)- **بدر الدين عامود**، مرجع سبق ذكره، ص219 إلى 240.

(2)- نقلا عن المرجع نفسه، ص243.

*-سيغموند فرويد: ولد في أيار "مايو 1856" في مدينة "فرايبورغ"، درس الطب في مخبر "بروك" ومن أهم دراساته التي نشرها حتى عام 1885 تتركز حول "مشكلات التشريح" و"الاضطرابات البصرية".
«سيغموند فرويد: الموجز في التحليل النفسي ص9».

تعريف التحليل النفسي :

عرفه "إبراهيم مدكور": « هو منهج العلاج النفسي اكتشفه "فرويد" يقوم على تفسير مواقف عند المريض بطرائق متعددة كالتداعي الحر والتحليل والأحلام ويرمي إلى اكتشاف الذكريات النفسية والرغبات المكبوتة ونقلها من العقل الباطني إلى منطقة الوعي».[1]

وعرف أيضا: هو منهج للبحث في حالات نفسية التي لا يمكن البحث عليها إلا بهذا المنهج وهو فن علاج الاضطرابات العصبية النفسية. وهو مجموعة من المعارف النفسية يتألف منهانظام علمي جديد[2].

فالتحليل النفسي من أهم اكتشافات "فرويد" التي أحدثت تطورًا كبيرًا في مجال الطب النفسي من حيث الأفكار الجديدة التي اكتشفها.« التحليل النفسي هو العلم الذي يهتم بالدوافع المحركة لسلوك الإنسان الشعوري أو اللاشعوري»[3].

فالتحليل النفسي يدرس جانبين فالجانب الأول يسميه "فرويد" الجانب الشعوري أما الجانب الثاني الذي هو عكس الجانب الخفي وأسماه "الجانب اللاشعوري" حيث يقول "فرويد":«التحليل النفسي هو الكشف عن الرغبات المكبوتة لإعادتها من اللاشعور إلى الشعور».[4]

فالمحلل النفسي عند "فرويد" لكي يحلل الحياة النفسية للإنسان المريض يجب أن يخرج مكبوتاته التي هي أفكار يكبتها داخل نفسه أي في منطقة اللاشعور إلى منطقة الشعور وما على الطبيب النفساني سوى أن يعمل على حل هذه المكبوتات بإصدار حكمه

---

(1)- **إبراهيم مدكور**،المعجم الفلسفي، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية 1983)، المادة "التحليل النفسي" ص41.

(2)-**فرج عبد القادر طه**، علم النفس وقضايا العصر، ((ط1) القاهرة: دار المعارف كورنييش النيل، 1919)، ص30.

(3)-**رضا الموسوي**، التحليل النفسي بين حداثة فرويد وما يعد حداثة الفرويديين الجدد، أراء وأفكار، العدد (882)، السبت 24 فيفري 2007، ص1.

(4)-**سغموندفرويد**،الموجز في التحليل النفسي، تر: سامي محمود علي (مكتبة الأسرة مهرجان القراءة للجميع، 2000)، ص18.

بإرشاده وتشجيعه وذلك ما نسميه بإحلال الحكم الفعلي محل الكبت اللاشعوري، فالمحلل يحاول إخراج الأفكار التي يكتبها المريض والتي هي مصدر مرضه إلى العالم الخارجي أي إلى العالم الظاهري الذي يحتويه الشعور.

إن التحليل النفسي هو منهج قوامه اكتشاف مجال اللاوعي للبحث عن الأسباب الكامنة فيه والتي تؤدي إلى ظهور الاضطرابات العصبية لدى الفرد "ففرويد" يرى أن الغرائز هي التي تحكم السلوك الظاهري والتغير الظاهري للفرد أي تحكم الشعور واللاشعور.

إن الفكرة التي يكبتها* الفرد في اللاشعور هي التي تحدث له اضطرابات عصبية ونفسية ولهذا يجب على المحلل النفسي أن يخرج تلك الفكرة من المكان الذي تكبت فيه وهو "اللاشعور" إلى الظاهر الذي هو "الشعور" لكي يتخلص المريض من مرضه حيث يقول: "فرويد": « أنسب وسيلة لتجريد الفكرة المتسلطة من قوتها المفرطة هي في هذا الحال جلب الفكرة اللاشعورية المضادة لها إلى مجال الشعور».[1]

ومن هنا يتبين لنا أهم شيء اكتشفه "فرويد" وهو الجزء الثاني للحياة النفسية للإنسان التي تتمثل في "اللاشعور" ومنه قسم الحياة النفسية إلى حياة نفسية واعية وحياة نفسية لاواعية وهذا التقسيم شكل المقدمة الكبرى والأساسية في التحليل النفسي.

*-"الكبت "Répression :جوهر الكبت هو عجز نزعة معينة عن الإفلات من النظام اللاشعوري والدخول في النظام قبل الشعوري، وبذلك تظل النزعة لا شهوانية وتوصف بأنها كبت، وهو بحث عن صراع النزاعات المتعارضة ومصدره هو الأنا الذي يقوم بالكبت بناءا على أوامر الأنا الأعلى: « عبد المنعم الحفني: المعجم الموسوعي للتحليل النفسي، (ط1)، بيروت: دار نوبليس 2005)، ص8.

[1]-**سيغموند فرويد**، التحليل النفسي للهيستريا ، تر: جورج طرابيشي، ((ط1) بيروت، دار الطليعة 1981)، ص64.

فالجزء الأول من نفس الإنسان الذي يتمثل في الشعور كان موجود قبل ظهور التحليل النفسي حيث عرفه فرج عبد القادر طه: « يستخدم في الطب بمعنى اليقظة والوعي فالشعور من وظائف الإدراك، وهو يدل على كيفية العملية العقلية».[1]

فالشعور هو الوعي أي هو عكس "اللاشعور" ومهمته التعرف على متطلبات الحياة اليومية للإنسان وذلك بعمليات التفكير أي بالعقل الواعي، فهو النفس لذاتها ولما تختبره.

الشعور عند "سغموند فرويد" يعتمد على إدراك حسي ذي طابع مباشر ويقيني جدًا، فهو ربط بين الشعور و"الأنا" فهو يشمل الشعور حيث قال "فرويد": « الأنا إذا ما نظرنا إليه من الخارج على الأقل يبدو وكأنه يشتمل على حدود واضحة دقيقة»[2]،أي أن الأنا يشمل الواقع ،أما الجزء الثاني من الحياة النفسية للإنسان يتمثل في "اللاشعور" وهو الأمر المهم الذي اكتشفه"فرويد" في العلاج النفسي، و غير طريقة العلاج في الطب النفسي .

وعرفه "جاك لاكان" J. Lacan"1901-1981": «اللاشعور مفهوم مصاغ وفق أثر الشيء الذي يفعل فعله ليشكل الذات ليس اللاشعور شيئا يشير في الواقع النفسي إلى دائرة ما لا يملك صفة (أو فضلة) الشعور».[3]

ومن أهم الركائز التي يستند إليها التحليل النفسي عند "فرويد" هي منطقة "اللاشعور" لأنها هي التي تحتوي على الاضطرابات والمكبوتات التي تجعل المريض يمرض حيث يقول: «أن نتحقق من أن أعراض هذه الاضطرابات (الهستيريا، الأعصاب الوساوس ... إلخ) نفسية المنشأ ومتعلقة بنشاط العقد التمثلية اللاشعورية (المكبوتة)، وقد

---

(1)-**فرج عبد القادر طه وآخرون**، معجم علم النفس والتحليل النفسي ،((ط1)، بيروت: دار النهضة العربية، 1936) المادة "الشعور"، ص240.

(2)-**سيغموند فرويد**، قلق في الحضارة ، تر: جورج طرابيشي، ((ط1) بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر1977)، ص8.

(3)- نقلا **عن كاترين كليمان**:التحليل النفسي، تر: محمد سبيلا حسن أحجيج((دط) دار البيضاء:مطبعة النجاح الجديدة 2004)، ص1.

مكنتنا هذه الطريقة عينها من معرفة هذه العقدة اللاشعورية».[1] يعني أن الطريقة التي مكنته من التعرف على العقدة اللاشعورية هي التحليل النفسي.

يؤثر "اللاشعور" في سلوك الإنسان وأفعاله الشعورية فهو يتمثل في تلك العمليات غير قابلة للملاحظة تؤثر سلبا على نفس الإنسان وتحدث له اضطرابات عصبية لكن بالتحليل النفسي يتمكن المحلل من اكتشاف تلك المكبوتات بنقلها من منطقة "اللاشعور"إلى "الشعور" لكي يشعر المريض بتحسن وهذا ما يسميه "فرويد" بالتحليل النفسي.

أدى اكتشاف "فرويد" اللاشعور إلى اكتشاف أشياء جديدة ومهمة في الحياة النفسية للإنسان، فميز بين ثلاثة أنظمة وهي: ما قبل الشعور، الشعور، اللاشعور، ثم انتقل إلى التمييز بين ثلاثة قوى والتي تتمثل في: الأنا"المركز الدفاعي"، والأناالأعلى،والهو وهذه هي التقسيمات للجهاز النفسي عند "فرويد".

تمثل هذه القوى الثلاث القوى المتصارعة ،"فالهو" يمثل الجانب اللاشعوري أي المكبوتات الغرائز أي الجانب البيولوجي لهذا يقال: «الهو هو بركان يوشك أن ينفجر»[2]الأنا وكما قلنا تتمثل في الجانب الظاهري من الحياة النفسية الواعية أي الشعورية أما بالنسبة "للأنا الأعلى" فهو يتمثل في الجانب الأخلاقي أو الاجتماعي.

يعتبر "الهو" مصدر الغرائز واللذة وهو المصدر الحيواني من الإنسان حيث لا يعترف بالأخلاق أو المجتمع أو القوانين، أما "الأنا" فهي الذات أي الشعور وهدفه تميز الإنسان عن غيره من الناس فهو يشمل "الشعور" ويقول "فرويد" :«الأنا يشمل هذا "الأنا" الشعور».[3] وهو يخدم الهو ويعمل على تحقيق مطالبه.

---

[1]-**سيغموند فرويد**،الحياة الجنسية ، تر: جورج طرابيشي، (ط1) بيروت: دار الطليعة 1982) ص43.

[2]-**مجموعة من مؤلفين**، مراجع الشخصية الهو، الأنا، الأنا الأعلى، تر: وحيد أسعد ((دط)، دمشق: منشورات وزارة الثقافة،، 2002)، ص44.

[3]-**سيغموند فرويد**،الأنا والهو ، تر: محمد عثمان نجاتي، (ط4) الكويت، دار الشروق، 1982)، ص40.

أما "الأنا الأعلى" يتمثل في الجانب الخلقي وهو يحترم العادات والتقاليد،كما سبق وقلنا أن "الأنا" يمثل الجزء الشعوري ،فإن "الهو" يمثل الجزء اللاشعوري وهذا ما قاله "فرويد": «يطلق اسم "الهو" على الجزء الآخر من العقل الذي يمتد إليه هذا الكيان والذي يتصرف كأنه لاشعوري».[1]حيث يرى أن "الهو" يحتوي على المكبوتات وهي لاشعورية أي تحتويها منطقة "اللاشعور"،وبذلك "الهو" مجاله "اللاشعور" أي عكس "الأنا" الذي هو "الشعور".

أما "الأنا الأعلى" الذي يتمثل في الجانب المثالي عند "فرويد" فهو الذي يكون وسيطا بين "الأنا" و"الهو" حيث يقول "فرويد": « نشأ الأنا الأعلى لتبين كيف يمكن للصراع القديم الذي نشب بين "الأنا" و"الهو" ...».[2]وهكذا يتبين لنا كيف تكون "الأنا الأعلى" هي التي تقف حاجزًا أمام "الهو" لتوقفها عند حدها باعتبارها مركز الغرائز والرغبات للإنسان الذي لا يحترم المبادئ والتقاليد والأخلاق التي تمثل السلوك الإنساني الذي يكتسبها من العالم الخارجي.

وأيضا من بين الأفكار التي عالجها "فرويد" في التحليل النفسي نجد فكرة "الأحلام*" فهي حسبه تؤثر على النشاط النفسي وهي ذات دلالة في الواقع وعبارة عن عمليات نفسية يمكن تفسيرها وهذا ما يقوله في كتابه تفسير الأحلام: « أما أنا فأرى الأحلام مجرد علامات تدل على عمليات نفسية وفعلية، وما علينا إلا أن نعثر على مفتاح هذه العلامات حتى نصل إلى المعنى الحقيقي والطبيعي للأحلام».[3]

---

[1]-المصدر نفسه، ص40.

[2]-المصدر نفسه، ص64.

*- الحلم: هو الخواطر التي تسبق الاستغراق في النوم وتكتسي اللحم والدم، وتتحوّل إلى صورة متحركة ناطقة أثناء النوم وهذا ما يسمى بالحلم وخير حالة للسرد بلا انتقاء هي حالة الاستعداد للنوم، أو حالة التنويم المغناطيسي إذ أمكن ذلك عند "فرويد"«سغموند فرويد، تفسير الأحلام»، ص26.

[3]-**سيغموند فرويد**،تفسير الأحلام ، تر: نظمي لوقما، ((د ط)، دار الهلال: سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع، 1962)، ص24.

كان المرضى أثناء جلسات العلاج يتحدثون عن أحلامهم ومخاوفهم و خواطرهم فاعتبر "فرويد" الأحلام هي وسيلة من الوسائل التي يكشف بها عن أسباب مرضهم النفسي.

يرى "فرويد" أن أهم ما يؤدي إلى إنشاء الحلم هو الرغبة التي لم يتمكن الفرد من تحقيقها في الواقع، فينتقل من نطاق الشعور إلى اللاشعور لتخرج على شكل أحلام أثناء النوم، فالأفكار التي نتخذ منها جانبًا في حياتنا النفسية تصبح جزءا من حياتنا اللاشعورية فعند تحليل أحلام المرضى نكشف عمّا يخفونه من رغبة لم يتمكنوا من تحقيقها في حياتهم الظاهرية ولذلك يجعلونها جزءا من حياتهم غير الظاهرة. فيصبح اللاشعور المكان المناسب لهذه الأفكار الخفية التي تمكن الفرد من توليد الأحلام وهذا ما يقوله "فرويد":« في أفكار تركها النشاط النفسي لحالة اليقظة جانبا من دون أن ينتبه لها ومن دون أن يحلها، ولكن كما تتوصل إلى توليد حلم فلا بد من تعاون رغبة، وهي على الدوام تقريبا لاشعورية».[1]

الأحلام عند "فرويد" هي جزء من الحياة الخفية للفرد لكنها من نتيجة مسببها هي الحياة الظاهرية لأن كل ما يرغبه الفرد من أفعال لم يفعلها فيكبت تلك الرغبات لتصبح في منطقة اللاشعور وتخرج على شكل أحلام وفي هذا يقول "فرويد": « ما من حلم نقوم بتحليله إلا ونخرج من هذا التحليل بخاطر من الخواطر الحديثة العهد بالوعي أو الشعور».[2]

ب- ظهور التحليل النفسي:

كان "سغموند فرويد"محاضرا في علم الأمراض العصبية ،وجمعته علاقة وطيدة مع الطبيب "بروير" Breuir (1841-1925)، حيث عالج هذا الأخير من قبل فتاة مصابة بالهستيريا،ونجح في ذلك عن طريق التنويم المغناطيسي،ويقول "فرويد" في كتابه حياتي والتحليل النفسي: «دأبنا ذلك الحين على الاشتراك سويًا في جميع مهامنا العلمية».[3]

---

[1]-**سغموند فرويد**،الهذيان والأحلام في الفن، تر: جورج طرابيشي، ((ط1) بيروت، الطليعة، 1978)، ص105.
[2]-**سغموند فرويد**،تفسير الأحلام، مصدر سبق ذكره، ص169.
[3]-**سغموند فرويد**، حياتي والتحليل النفسي، تر: مصطفى عبد المنعم المليحي،(الإسكندرية، دار المعارف(دط)،ص35.

أخبر "برويز" صديقه "فرويد" بطريقته فأعجب بها وفي ذلك الوقت كان يعمل في مستشفى الأمراض العصبية وقد اعترضته صعوبات عديدة فقرر استعمال طريقة "برويز" بغية كشف طرق جديدة لعلاج الحالات النفسية المختلفة عن العلاج الكلاسيكي.[1]

كان "فرويد" نشيطا محبا للعمل ولاكتشاف أشياء جديدة من أجل تطوير العلاج النفسي وكانت لديه آمال كبيرة في إيجاد علاج يشفي مرضاه من معاناتهم من جراء الحالات النفسية المختلفة ولهذا يقول: « لست قادرًا على العمل إلا وأنا محفوز بآمال عريضة».[2]

رحل "فرويد" إلى باريس ليدرس في جامعة "شالبتربير" فالتقى "بشاركو" Charcot (1825-1893) الذي كان يقوم بأبحاثه في الهستيريا فاتبعه "فرويد" وتأثر به.[3]

طبق "فرويد" ما تعلمه من "شاركو" لكنه وجد صعوبة عدم تقبل الأطباء في "فينا" علاج الهستيريا عن طريق الإيحاء التنويمي، وهذا لم يجعله يستسلم بل واصل في علاج مرضاه وشاركه "فرويد"في علاج الفتاة "أنا" البالغة من العمر 21 سنة فكان ينومانها مغناطيسيًا فتتذكر كل ذكرياتها الموجعة التي أدت إلى إصابتها بالهستيريا.[4]

كانت "أنا" تشفى من المرض مؤقتا وهذه الطريقة عرفها "فرويد" بالطريقة التفريجية والتصرفية، ومنها اكتشف أشياء باطنية داخل النفس لا يمكن للفرد التعرف عليها وهذا ما جعله يتوصل إلى اكتشاف الجزء الثاني من الحياة النفسية عند الفرد أي "اللاشعور".

---

(1)-**إدغاريش**،فكر فرويد، تر: جوزيف الله، ((دط)، المؤسسة الجامعية لدراسات (د ت))، ص15-16.

(2)-**بول لوران أسوان**، التحليل النفسي، تر: محمد سبيلا، ((ط2) الرباط: منشورات الزمن 2005) ، ص27.

(3)-**سيغموند فرويد**، الموجز في التحليل النفسي ، مصدرسبق ذكره، ص10.

(4)-المصدرنفسه، ص10.

توصل "فرويد" إلى أن منهجية "بروير" أي التنويم لم تكن مجدية وأن لها عيوب فأراد أن يبحث عن منهج جديد فعال في طريقة العلاج كما قال الدكتور "مصطفى زيور": « كل فتح علمي كبير يقتضي ابتكار منهج ملائم لموضوع البحث».[1]

من جملة الأسباب التي دفعت "فرويد" إلى التخلي عن طريقة التنويم والبحث عن طريقة أخرى نجد ما يلي:

1- كان المريض لا يشفى بطريقة كلية بل يعود المرض بعد فترة وجيزة.

2- كان يصعب على الطبيب تنويم جميع المرضى.

3- لا توجد ثقة بين الطبيب والمريض لأن المريض هنا يتحدث عن مكبوتاته دون وعي منه.

انتقل "فرويد" من طريقة التنويم إلى طريقة "برنهايم"(1837-1919)أي "الطريقة الإيحائية" حيث يقوم الطبيب بتنويم مرضاه مغناطيسيًا وبعد إيقاظ المريض يطلب منه تذكر بعض الأحداث.

ولقد ظهرت عيوب في هذه الطريقة أيضًا وتتمثل في:

1)بالإيحاء وحده لا يتمكن المريض من تذكر كل ذكرياته التي سببت مرضه.

2) هذه الطريقة فيها مشقة وإرهاق لكل من الطبيب والمريض.

فتخلى فرويد عن طريقة "برنهايم"واتخذ طريقة أخرى وهي "التداعي الحر" وفيها يطلب الطبيب من المريض التحدث بحرية مطلقة عن كل أفكاره حتى لو كانت صغيرة أو سخيفة أو لا أخلاقية فقد تكون سبب مرضه وهذه الطريقة أدت إلى اكتشاف حقائق هامة "لفرويد" لم يكن يعلم بها.

---

[1]-**عبد القادر طه**، علم النفس وقضايا العصر، مرجع سبق ذكره، ص36-37.

إن تذكر المريض للأحداث الباطنية والتجارب الشخصية أثناء التنويم أمرا صعبا لأن معظمها كانت مؤلمة ومشينة للنفس لذا فضل المريض رميها من ذاكرته ونسيانها تمامًا.[1]

ومن هنا لاحظ "فرويد" أنه ليس على الطبيب أن يدفع المريض إلى التفريغ أو التنفيس عن مكبوتاته بل يقوم باكتشاف عن المكبوتات التي هي داخل "اللاشعور" ونقلها إلى دائرة "الشعور" فيصبح المريض يعي ما كان يجهله من أفكار وهنا يقف المريض للتصدي لتلك الرغبات وما على الطبيب إلا أن يشجعه ويوعيه لكي يواجه الصراع الذي فشل في حله سابقًا.

وهذا ما يسميه "فرويد"طريقة العلاج "بالتحليل النفسي" وهذا بعد قيامه بعدة تجارب لمدة عشر سنوات (1896-1906) حتى توصل إلى اكتشاف"التحليل النفسي".[2]

ثم أخذت هذه النظرية الجديدة تنتشر بين الأطباء في الكثير من البلدان وخاصة في "سويسرا" ومن أهم من تأثر بهذه الطريقة نجد: "أوجين بلور"EujeneBleuler بمدينة "زيوريخ" وأحد مساعده "يونج"Jung (1875-1961)...إلخ.[3]

وهكذا توصل "فرويد" إلى اكتشاف منهج جديد في علاج حالات نفسية والذي يتمثل في التحليل النفسي وأحدث تطورًا كبيرًا في مجال الطب النفسي الذي استفاد بكل النظريات الجديدة التي اكتشفها.

---

(1)-**سيغموند فرويد**، الموجز في التحليل النفسي، مصدر سبق ذكره، ص14.
(2)-**سيغموندفرويد**،الموجز في التحليل النفسي ، مصدر سبق ذكره، ص16.
(3)-**بجالد وايلد**، علم النفس وكيف أن يساعد، تر: عبد العزيز جادوا (الإسكندرية: المكتبة الجامعية الأزاربيطة، 2001)، ص18.

جـ- تطور التحليل النفسي والانتقادات الموجهة إليه:

بعد ظهور التحليل النفسي مع "سيغموند فرويد" و تطوره ظهر من يخالفه من المحللين النفسانيين في بعض الأمور ، ومنهم:

"أدلر" Adler (1870-1937):كان "فرويد" يرى أن سبب الأمراض العصبية هو الغريزة الجنسية ويعتبرها هي السبب الوحيد ولكن "أدلر"عارضه في ذلك فالغريزة الجنسية ليست هي السبب الذي يسبب الأمراض العصبية بل سببها هو الشعور بالنقص لأن الإنسان بطبيعته يحب السيطرة فهو يهتم بالوعي أكثر من اللاوعي لأن الإنسان يهتم بالظاهر أكثر من الخفي.

2-"أوتورايك"Ottoraukوهو من أهم المحللين النفسانيين الذين جددوا فكر التحليل النفسي وقدم الكثير لتطوير العلاج بالتحليل النفسي، وأهم ما تحدث عنه نجد: «فكرة القلقوكما أنه اكتشف مصطلحات جديدة مثل: النكوص، أو العودة إلى البدء والألم، القلق، الاندماج مع الألم ...إلخ».[1]

وبدأت تظهر اهتمامات متنامية في مجال التحليل النفسي ومنها مجال البحوث السوسيولوجية في فرانكفورت والذين اهتموا بذلك منهم: "ماكس هوركايمر"و"أدورنو" وكما يوجد عدد من الفلاسفة اهتموا بذلك ومنهم الماركسيين والاشتراكيين.[2]

ويوجد عدد كبير من العلماء الذين ساهموا في تطوير التحليل النفسي منهم من زاد على أفكار "فرويد" ومنهم من صححوا، ومن طوروا واكتشفوا ما لم يكتشفه "فرويد".

ومنهم من دعا إلى العودة إليه مثل "لاكان"(1901-1981)J.LAKANالذي كان شعاره هو "العودة إلى فرويد" والذي يجعل اللغة لها أهمية كبيرة في التحليل النفسي وأشهر

---

(1)-**عائشة نحوي**: العلاج النفسيعن طريق البرمجة العصبية اللغوية، (رسالة الدكتوراه غير منشورة)،إشراف:محمد شلبي جامعة الأخوة قسنطينة، 2009، ص24.

(2)-**إريك فروم**، أزمة التحليل النفسي، تر: طلال عتريسي (ط1) بيروت: المؤسسة الجامعية 1988، ص19.

مقولاته في ذلك يقول: « يبنى اللاشعور كلغة»[1]، لأن اللغة هي التي توضح ما هو موجود في اللاشعور.

وكما نجد أيضًا انتقادات كثيرة وجهت إلى التحليل النفسي ومن أهم المنتقدين له نجد: "رايش"Reich والانتقاد الذي وجهه "لفرويد" هو نقد قمع الغرائز الجنسية وكما نكر غريزة الموت وهو بذلك يقف بجانب التحريفيين للتحليل النفسي.[2]

ولذلك تم نقد التحليل النفسي من جانبين الجانب الأول خاص بالمنهج والثاني خاص بالاكتشافات التي اكتشفها "فرويد"في التحليل النفسي وتتمثل الانتقادات التي وجهت للتحليل النفسي من الجانب الأول (المنهج) فيما يلي:

1- تفتقر تحليلات "فرويد" إلى الضبط العلمي،فعندما كان يقوم بتجاربه وتحليلاته للعمليات النفسية كانت ظروفه لا يتوفر فيها الضبط العلمي،حيث يقول عالم النفس البريطاني "إيزيك"Eyserk : « إن فرويد كان يفتقر للقدرة على القيام بتصميم التجارب التي يمكن أن تضع هذه الفروض في اختبارات حاسمة».[3]

2- إن العلاج بطريقة التحليل النفسي لا يشفي الأمراض النفسية أكثر مما يشفي الأمراض الجسيمة فإن هذه الأيام أصبحت أكثر الأمراض التي يتعرض إليها الجسم تأتي من الحالات النفسية، ونجد مثلا على ذلك أمراض الحساسية، ضغط الدم، أمراض الجهاز الهضمي ...إلخ وهذا ما يعيدنا بالذاكرة إلى قول: "أفلاطون" (427-347 ق.م): «وما ينبغي لك أن تحاول شفاء الجسم دون شفاء الروح».[4]

---

(1)-**جاك لاكان**، إغواء التحليل النفسي، تر: عبد المقصود عبد الكريم (المشروع القومي للترجمة والمجلس الأعلى للثقافة 1999)، ص81.

(2)-**إدغارييش**، مرجع سبق ذكره، ص188.

(3)-نقلا**عن فرج عبد القادر**، علم النفس وقضايا العصر، مرجع سبق ذكره، ص33.

(4)- نقلا عن مرجع نفسه، ص43.

*-شوبنهور: ولد في مدينة دانسبج في 1788 درس العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية. ثم درس الفلسفة، عمل كمدرس بجامعة برلين في 1819، ثم اعتزل التدريس عام 1921 ومات عام 1860 ومن أهم كتبه: العالم إرادة وتمثلا "1819". «شوبنهور: العالم إرادة وتمثيلا».

أما الجانب الثاني من حيث الاكتشافات فتتمثل في:

1- ليس "فرويد" هو أول من اكتشف اللاشعور بل أقرّ وجوده بالدليل فقط وإنما أشار إليه قبله "شوبنهور"*Schopenhauer (1788-1860) حيث يقول : « إن الشعور هو مجرد السطح بالنسبة لعقولنا التي لا نعرف ما بداخلها كالكرة الأرضية لا تعرف منها إلا ما هو على سطحها».[1]

"فشوبنهور" يرى أنه يوجد شيء باطني مقابل الشيء الظاهري ويقوم بتسمية هذا الشيء أي القوة الباطنية باسم الإرادة [2]، فالإرادة حسية هي ملكة العقل لكنها منفصلة عن أذهاننا لأنها قوة باطنية وتمثل القوة ويرجع تصور القوة إلى الإرادة والتي يسميها الإرادة العمياء.

فهو يستخدم الإرادة بمعنى واسع جدًا فهي تشمل العادات والغرائز والاندفاعات والميول من أي نوع ومن كل نوع.[3] فالحياة الواعية حسب "شوبنهور" ليست الوحيدة التي تسير الإنسان بل توجد الحياة الغير واعية وهي الأقوى وتتمثل في الحياة الباطنية.

2- إن "فرويد" ليس هو من اكتشف وجود دوافع جنسية في الطفولة أي عكس ما كان يعتقد من قبل أن الطفولة تتسم بالبراءة وهذه الفكرة لم يكن "فرويد" هو من اكتشفها،و يقول بنفسه أنه ليس هو من تطرق إليها لأول مرة حيث قال: « سأحدثكم الآن عن أوضح ما يبدو من أوجه النشاط الجنسي عند الطفل ... ولقد كان الدكتور "لندنر" Lindnerطبيب الأطفال "ليودابيست" أول من أكد الطبيعة الجنسية لهذه العملية».[4]

هناك من يقول في التحليل النفسي أن الغرائز الجنسية هي أساس الأمراض النفسية و "فرويد"هو من يعتبر ذلك،و يقصد بغريزة الجنس اشتمال كافة نزعات الحب والبناء

---

(1)- **فرج عبد القادر**،مرجع سبق ذكره ، ص43.
(2)- **شوبنهور**، العالم إرادة وتمثلا، تر: فؤاد زكريا ،(مكتبة الأسرة :مهرجان القراءة للجميع، 1994)، ص22.

(3)-**رفيق عزيزي**،شوبنهور وفلسفة التشاؤم،((ط1)، بيروت: دار الغرابي 2008)، ص110.
(4)-فرج عبد القادر، مرجع سبق ذكره، ص45.

والرغبة في المحافظة على الذات وعلى الآخرين وإسداء المعونة والمساعدة ،صحيح أن لها دور في بعض الأمراض النفسية لكن توجد غريزة أخرى تسبب الحالات العصبية وهي غريزة العدوان والتي هي تلك الرغبات التي تهدف إلى الإضرار بالذات والغير أي الآخرين، ووضح ذلك في كتابه "ما وراء مبدأ اللذة" وأقر بوجود غريزتين وهما غريزة الجنس وغريزة العدوان.[1]

[1]-مرجع نفسه، ص46.

المبحث الثاني: الإبستيمولوجيا

أ-مفهوم الإبستيمولوجيا:

1- لغة: هي كلمة مركبة من لفظين "إبستيماEpistéme" ونقصد به العلم واللفظ الثاني "لوغوسLogos" ونقصد به النظرية أو الدراسة، وبذلك فالإبستيمولوجيا لغة هي نظرية العلوم أو فلسفة العلوم.[1]

تطلق في اللغة الانجليزية على نظرية المعرفة بوجه عام ويقول: "رونز" «الإبستيمولوجيا أحد فروع الفلسفة الذي يبحث في أصل المعرفة وتكوينها ومناهجها وصحتها».[2]

في اللغة الفرنسية الإبستيمولوجيا مشتقة من كلمة يونانية وتعني العلم أو المعرفة ومقطع "Logie" يعني في أصله اليوناني "Logos" أي نظرية إذن كلمة إبستيمولوجيا تعني حرفيا "نظرية العلم".

2- اصطلاحا:

تعددت اصطلاحات الفلاسفة لمصطلح الإبستيمولوجيا حيث يعرفها: " لالاند" (1867-1963) في موسوعته الفلسفية على أنها: « تدل على فلسفة العلوم ولكن بمعنى أدق ليست حقًا دراسة المناهج العلمية، وهي أيضا دراسة نقدية لمبادئ العلوم المختلفة وتعني فلسفة العلوم، والتي نقصد بها دراسة نقدية لمبادئ العلوم وفروضها ونتائجها، بغية تحديد قيمتها ومداها الموضوعي، المنطقي لا النفساني».[3]

---

(1)- **جميل صليبا**، المعجم الفلسفي :الجزء الأول، ((دط)، بيروت: لبنان، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، 1982)، المادة:" الإبستيمولوجيا "، ص33.

(2)- **إبراهيم مدكور**، مرجع سبق ذكره، المادة:"الإبستيمولوجيا "، ص01.

(3)- **أندريه لالاند**، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول A-G ، تر: خليل أحمد خليل، ((ط2)، بيروت-لبنان: منشورات عويدات، 2001)، المادة: "الإبستيمولوجيا "، ص356.

تختلف الإبستيمولوجيا عن الميتودولوجيا في أن الإبستيمولوجيا تدرس بشكل نقدي مبادئ كافة أنواع العلوم وفروضها ونتائجها لتحديد أصلها المنطقي وبيان قيمتها.[1]

حرص "لالاند" على التمييز بين الإبستيمولوجياوالميتودولوجيا فهي دراسة وصفية، وكما أن الميتودولوجي يتبع خطوات العالم بغرض وصفها وتحليلها لأجل صياغة فرضية أو نظرية منطقية، أما بالنسبة للإبستيمولوجيا فمهمتها نقدية تسعى من وراء تحليل العلم، الكشف عن الفلسفة المتضمنة فيه قصد معالجة وسد ثغرات العلم سواء أكانت تتعلق بالمناهج أو الفرضيات أو النتائج.[2]

اعتمد الدكتور محمد عابد الجابري في تعريفه لمصطلح الإبستيمولوجيا على تعريف "أندريه لالاند": بأنها فلسفة العلوم ويضيف بأنها ليست دراسة المناهج العلمية فقط فهي تختص بموضوع الميتودولوجيا التي حسبه تشكل جزء من المنطق بمعنى الإبستيمولوجيا هي الدراسة النقدية لمبادئ العلوم المختلفة ولفروضها ونتائجها قصد تحديد أصلها المنطقي وبيان حصيلتها وقيمتها الموضوعية.[3]

أما "جون بياجيه" Jean Piagetفيعرف الإبستيمولوجيا على أنها: « مبحث نقدي في مبادئ العلوم وفي الأصول المنطقية لهذه المبادئ»، أو هي: « نظرية العلوم أو فلسفة العلوم تعني بدراسة مبادئ العلوم دراسة نقدية لأجل إبراز أساسها المنطقي وقيمتها الموضوعية».[4]

---

(1)-المرجع نفسه،ص46.

(2)-المرجع نفسه، ص19.

(3)-**محمد عابد الجابري**، مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي،((دط)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية)، ص18.

(4)-**جان بياجيه**، الإبستيمولوجيا التكوينية، تر: السيد نفادي، ((دط)، القاهرة:دمشق دار التكوين، دار العالم الثالث، 2004)، ص24.

تختلف الإبستيمولوجياعند "جان بياجيه" عن دراسة مناهج العلوم وطرق تدريسها وكذا دراسة تركيب القوانين العلمية فالأولى تعتبر قسم من المنطق أما الثانية فهي قسم الفلسفة الوصفية أو فلسفة التطوّر.[1]

لقد اقترح "بياجيه" منهجًا ضروريا في دراسة هذه الدراسة وهو المنهج التكويني الذي يجمع بين التحليل التاريخي والمنطقي والتحليل النفسي وهو ما عرف عنه بالإبستيمولوجيا التكوينية.[2]

إن المقصود من الإبستيومولوجيا هي الدراسة النقدية لمختلف مبادئ العلوم ولفروضها ونتائجها بغرض تحديد أصلها المنطقي وبيان قيمتها وحصيلتها الموضوعية وهذا ما اتفق عليه جلّ العلماء والفلاسفة والباحثين.

ب-ظهور الإبستيمولوجيا وتطوّرها:

تعود البدايات الأولى لظهور الإبستيمولوجيا إلى الفيلسوف الإسكتلندي "جيمس فريدريك فرير" (1808-1864)،وذلك عندما استخدم هذا المصطلح في كتابه "سنن الميتافيزيقا"،حيث قام فيه بالتمييز بين مبحثين وهما مبحث الوجود (الأنطولوجيا)،ومبحث المعرفة (الإبستيمولوجيا).[3]

أما بالنسبة لنشأة مفهوم الإبستيمولوجيا فكانت البداية الأولى لها في موسوعة "جان لوروندالمبير" Jean Le Rond D'lembert" حيث تجلت المعاني الأولى لهذا المصطلح ثم كتاب أوغست كونت A. Conteفي "درس في الفلسفة الوضعية"، فأعطى نظرية للعلم قائمة على تصنيف جديد للعلوم وطوره بعد ذلك "إرنست ماخ" في ألمانيا نهاية القرن التاسع عشر إلى حدود القرن العشرين.

---

(1)-المرجع نفسه، ص24.

(2)-المرجع نفسه، ص25.

(3)-**عادل السكري**، نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة، تر: حامد عمار، ((ط)1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1999) ص28.

كانت العلوم تعيش أزمة الأسس، وهي أزمة تهتم باليقين في ذاته مما أدى إلى تزعزع اليقنيات العلمية السائدة.

قامت الإبستيمولوجيا بدراسة نقدية للرياضيات وهذا يتجلى في الهندسة خاصة أو الأسس الرياضية فتم نقد النظريات الرياضية مما ساهم بشكل كبير في التقدم العلمي والفكري فكان الاتجاه الإبستيمولوجي النقدي للأسس والمبادئ الرياضية يمدّها بأفكار جديدة وخاصة في مجال الهندسة ويقدم لنا تاريخ العلوم مثالا على ذلك من هندسة إقليدية إلى هندسة لاإقليدية وهذا ما يسمي بأزمة الأسس.[1]

إن البداية الأولى لظهور هذه النظريات الجديدة التي ساهمت بشكل فعال في تطوّير الإبستيمولوجيا ما قام به العالم الايطالي "جيرو لاموسا كشير" (1728-1777) وكذلك أيضا الرياضي المجري "جون يولياي" (1802-1860) والألماني "كارل جاوس"(1777-1855) وعرفت كل هذه التغيرات بأزمة الأسس في الرياضيات.[2]

يرجع الفضل إلى العالم الروسي "نيكولاي لوبا تشفسكي" (1856-1892) في ظهور أول نسق هندسي لا إقليدي حيث بنا نسقًا هندسيًا وافترض أن السطح مقعر ومنه بالإمكان رسم عدد لا نهائي من المستقيمات المتوازية من نقطة خارج المستقيم.

أما ما قام به "ريمان" (1836-1866) بافتراض نسق آخر مغاير عن "لوباتشفسكي" بأن السطح كروي بمعنى أن من نقطة خارج المستقيم لا يمكن رسم أي موازٍ لأن جميع الخطوط متقاطعة ومجموع زوايا المثلث 180°، كل هذه النظريات والأنساق الهندسية ساعدت في تطوّر الإبستيمولوجيا.

في مطلع القرن العشرين سنة 1900 برزت الثورات العلمية في الفيزياء وأعلن "ماكس بلانك" (1858-1948) عن فرضية الكوانطا وهي بمثابة قطاع ضئيل للغاية من

---

[1]-**رافد قاسم هاشم**،إبستيمولوجيا المعرفة عند باشلار، (مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، جامعة بابل،2013)، ص144-143

[2]-المرجع نفسه،ص184.

الطاقة وإدراكه ليس أسهل من إدراك الذرة وهو يؤلف الوحدة الأولية للضوء كما تؤلف الأولية للمادة.[1]

لقد كانت ثورة الكوانطا والنسبية تعزز لتطوّر الرياضيات فهذه المبادئ التي لم يجرأ أحد على رفضها فضلا عن قبولها، بحيث أصبح لدينا الآن الحدّ الفاصل بين إبستومولوجيا العلم الكلاسيكي وإبستيمولوجيا العلم في القرن العشرين فعبرت الأولى عن مبدأ الحتمية الميكانيكية والثانية يمكن أن يعبر عنها النقيض تمامًا أي مبدأ اللاحتمية.[2]

لقد ساهمت هذه الأزمات والنظريات في تطوّر الإبستيمولوجيا في مطلع القرن العشرين فاكتمل المعنى الحقيقي للإبستيمولوجيا وظهر هذا المصطلح في ملحق القاموس المصوّر في (1906) فانتشر انتشار كبير في فرنسا إلى بريطانيا ... وطوّره "باشلار" فيما يخص تحليل لغة العلم وهيمنت على فلسفة العلم فترة طويلة ليأتي التحليل الباشلاري للمعرفة العلمية فيبحثّ في عوائق ودور الإبستيمولوجيا في تاريخ العلوم فأخذت في التطوّر حتى ساهمت في تشكيل العقل والتطوّرات الراهنة في العلم.

جـ- بين نظرية المعرفة والإبستيمولوجيا:

لقد حاول العديد من المفكرين والفلاسفة التمييز بين نظرية المعرفة والإبستيمولوجياوهذا نظرًا لاختلاف معناها من باحث إلى آخر في حين نجد البعض الآخر لا يميز بين هذين المصطلحين وهذا ما ذهب إليه الفلاسفة الإنجليز في حين يطلق هذا المصطلح على نظرية المعرفة بالمعنى نفسه ولكن الفرق يظهر مع الفلاسفة الفرنسيين مما يعني وجود موقفين هما:

---

(1)-المرجع نفسه، ص185.

(2)-**يمنى طريف الخولي**، فلسفة العلم في القرن العشرين، الأصول- الحصاد- الآفاق المستقبلية،(سلسلة عالم المعرفة، عدد 246، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، 2000)، ص219.

الموقف الأول:يعبر عن هذا الموقف "جان بياجيه"صاحب نظرية الإبستيمولوجيا التكوينية*الذي يرى أن المعرفة في تطور ونمو مستمر ودائم بحيث لن تصل إلى تمام أو ثابت وكالإبستيمولوجيا في هذا التطوّر ستغدو نظرية معرفة.[1]

إن علاقة الإبستيمولوجيا بنظرية المعرفة بالإمكان تحديدها بالعلاقة نفسها بين النوع والجنس فالإبستيمولوجيا تقف عند البحث في صورة المعرفة ونظرية المعرفة تبحث في مبادئ المعرفة بصفة عامة.

إن ما جعل بياجيه لا يميز بين نظرية المعرفة والإبستيمولوجيا وأنهما مفهومان مترادفان هي أن الإبستيمولوجيا نظر في المعرفة وهذا النظر يكون ضمن مرحلة جديدة من مراحل تطوّر العلاقة بين الفلسفة والعلوم.

مثل هذا الموقف أيضا أصحاب الاتجاه الانجليزي الذي يميل إلى المطابقة بين هذين المفهومين فيستخدم الإبستيمولوجيا بمعنى نظرية المعرفة.[2]

الموقف الثاني: عبر عن هذا الموقف "لوى روجيه"L.Rougier الذي يعتبر الممثل القوي للوضعية المنطقية الجديدة في فرنسا حيث نجد في أحد مؤلفاته عنوان "مبحث في المعرفة" لكنه عاد ليقول أنه كان ينبغي عليه أن يعطي عنوان "هيكل المعرفة العلمية" لهذا الكتاب بدل "مبحث في المعرفة"وهذا دليل على موقفه الرافض لنظرية المعرفة والتمييز بينها وبين الإبستيمولوجيا فاستبدل المعرفة بالمعرفة العلمية.[3]

كما نجد أيضا في نفس المنحنى الاتجاه الفرنسي الذي يفصل بين المصطلحين ويرى أن نظرية المعرفة تكون استخدامها في مجال الفلسفة فهي تهتم بجميع أنواع المعارف دون

---

*-الإبستيمولوجياالتكوينية: هي مبحث ينقسم إلى فرعين فرع يبحث في مبادئ العلوم ويهدف إلى تفسير التطوّر الفكري للإنسان وهو علم تاريخ المعرفة، أما الفرع الثاني فهو يبحث في تطور المعارف عند الإنسان الفرد منذ الولادة حتى بلوغه سن الرشد ويهدف إلى تفسير الظواهر المعرفية ويندرج تحت عنوان علم النفس المعرفي وكذلك تحليل طريقة توصل الطفل للمعرفة ويسمى في هذه الحالة الإبستيمولوجياالتكوينية.« جان بياجيه ،مرجع سبق ذكره ،ص24».

(1)- عادل السكري، مرجع سبق ذكره،ص29

(2)-المرجع نفسه، ص30.

(3)-المرجع نفسه، ص30.

تخصيص وبقدرتنا العارفة أما الإبستيمولوجيا بنوع خاص من المعارف هو المعرفة العلمية.[1]

لقد أعلنت الإبستيمولوجيا الفرنسية معاداتها لأي نظرية معرفية وحسب الفيلسوف الفرنسي "غاستون باشلار" Gaston Bache* فإن الأسئلة التقليدية في نظرية المعرفة غير مقبولة فنظرية المعرفة إيديولوجية مشوشة غير مقبولة ونقد دلالي بدون كشف فلسفي وتاريخي عن العلم.[2]

إن الفرنسيين يطلقون الإبستمولوجيا فقط على فلسفة العلوم وتاريخها الفلسفي وذلك راجع إلى أن دراسة تطوّر العلوم لا ينفصل عن نقدها ولا مضمونها الحسي المشخص[3].

لقد ميز الألمان أيضا بين نظرية المعرفة والإبستمولوجيا وهم يرون أن الإبستيمولوجيا المقصود منها فلسفة العلوم جميعها ومهما كانت الاختلافات التي نشأ حولها تحديد المعنى الدقيق للإبستمولوجيا فهي في الأخير تعني بيان شروط المعرفة البشرية وقيمتها وحدودها وموضوعيتها وذلك من خلال زاوية تطوّر العلم المعاصر ولكن مع ذلك إلا أن الإبستيمولوجيا ترتبط بنظرية المعرفة بمعناها التقليدي وهذا راجع لكونها تدرس إمكانية المعرفة وحدودها وطبيعتها.[4]

إن التمييز بين نظرية المعرفة والإبستيمولوجيا نجده عند العديد من الفلاسفة والمفكرين حيث أن كل من يتطرق إلى تعريف مفهوم الإبستيمولوجيا يحاول وإن أمكنه

---

(1)-المرجع نفسه، ص31.

(2)-**باتريك هيلي**، صور المعرفة، مقدمة لفلسفة العلم المعاصر، تر: نور الدين شيخ عبيد، ((ط1،)بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية، سبتمبر 2008)، ص180.

***-**غاستون باشلار: ولد في ريف فرنسا في 1884وتوفي في باريس عام 1962،عين أستاذا للفيزياء في كلية بار-سور-أوب،ثم ناقش أطروحة الدكتوراه في 1927ونشرها في 1928،تحت عنوان مقالة عن المعرفة التقريبية،ومن أهم مؤلفاته "النار في التحليل النفسي" ،"لهب شمعة" ... « **جون ليشته** ،خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة،ص21»

(3)-**جميل صليبا**، مرجع سبق ذكره، ص33.

(4)-**شعبان حسين** ،برنشيفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم ،دراسة نقدية مقارنة ((ط1)،بيروت ،دار التنوير للطباعة والنشر 1993)،ص123

التطرق إلى هذه الفكرة وخاصة مع الفلاسفة الفرنسيين الذين أنكروا أن تكون هناك علاقة تجمع بين هذين المفهومين فجعلوا من الإبستيمولوجيا المبدأ الوحيد لاكتساب وتحديد موضوعية المعارف ويقينيتها وهذا ما سنتناول في مباحثنا التالية.

وفي الأخير نستنتج من هذا الفصل أن التحليل النفسي هو منهج قائم على الكشف والبحث في المجال الخفي للإنسان والدوافع النفسية والاجتماعية، وذلك لأجل دراسة سلوك الإنسان وهذه المدرسة ظهرت بعد مدارس عديدة في علم النفس.

وكما نجد أيضا فلسفة العلوم أو الإبستيمولوجيا التي اهتمت بدراسة الإنسان،ومختلف مناهج العلوم دراسة نقدية بغية الوصول إلى الموضوعية العلمية .

الفصل الثاني:

إبستيمولوجيا باشلار

الفصل الثاني: إبستيمولوجيا باشلار

المبحث الأول: الفكر الإبستيمولوجي الباشلاري

المبحث الثاني: الإبستيمولوجيا اللاديكارتية

المبحث الثالث: العائق الإبستيمولوجي

المبحث الرابع: الفلسفة المفتوحة

تمهيـــــد:

يعد الفيلسوف الفرنسي "غاستون باشلار" أحد أهم الفلاسفة البارزين في الفلسفة الفرنسية المعاصرة لما قدمه في مجال فلسفة العلوم فأثرى هذه الساحة بمجموعة من الأفكار والمفاهيم الجديدة التي ساهمت في تطوير العلوم، فركز على نقد الفلسفات القديمة وخاصة فيما يخص مطلقية الحقائق ويقينيتها.

تختلف إبستيمولوجا"باشلار" عن باقي الإبستيمولوجيات ،فالمعرفة العلمية عنده تتطوّر باستمرار ،فقام بتكوين قيم علمية جديدة ومختلفة عن القيم العلمية التقليدية .

خصصنا فصلنا هذا للتحدث في البداية عن الفكر الإبستيمولوجي الباشلاري نظرا لأهميته ومساهمته في تطوير العلم وفيه تطرقنا إلى النظرة الانفصالية للعلوم عند "باشلار" والنظرية التواصلية بإيجاز. ثم تناولنا الإبستيمولوجيا اللاديكارتية ونظرة "باشلار" لها وفي الأخير إلى العائق الإبستيمولوجي الذي وضعه "باشلار " لنختم بفلسفته المفتوحة القابلة لكل النظريات لكن مع الفحص والنقد.

تطرقنا إلى هذا الفصل لنبين النظرة البشلارية لتكون مدخلا للفصل الأخير وفيه نحدد الصلة بين إبستيمولوجيا باشلار والتحليل النفسي.

الفصل الثاني: إبستيمولوجيا باشلار

المبحث الأول: الفكر الإبستيمولوجي الباشلاري

اهتم"باشلار" بفلسفة العلم اهتماما كبيرا واعتبر العلم أساس المعرفة وهذا ما كان سائدا في عصره، فاهتم العلماء بالمعرفة العلمية وجعلوا منها الركيزة الأساسية التي يستند عليها الفكر الفلسفي المعاصر وقد قال في ذلك "كارل بوبر"(1902-1994)K.R.POPPER: «أعتبر أن المعرفة العلمية هي أفضل وأهم ما نمتلك من معارف»[1].

وكما نعلم أن "باشلار" جاء بمشروع جديد عبر من خلاله على موقفه الجديد في فلسفته العلمية التي دعا فيها إلى إقامة موقف إبستيمولوجي جديد يبرز القيم المعرفية التي جاء بها في نظريته العلمية

أنشأ "باشلار" فلسفته من خلال تأمل العلوم [2]. وقدم أفكارا متميزة في مجال الإبستيمولوجيا ودرس بعمق الوسائل التي يحصل بها الإنسان على المعرفة العلمية عن طريق العقل واهتم بإبراز قيم العلم التي هي مجموعة من القيم المتجددة مع تطوّر الفكر العلمي ومن أهم هذه القيم هي قيم الإبستيمولوجيا وما يميز الإبستيمولوجياعن العلوم الكلاسكية أن العلم فيها متطور وليس ثابتًا وذلك بفعل أثر المعارف العلمية عليه.

لم يأخذ "باشلار" في فلسفته العلمية مسارا واحدا أي لم يكن لاعقلانيا ولا تجريبيا لأنه خالف الفلسفات القديمة التي تكتفي بالطابع التجريبي أو العقلاني وهو يرى أن العقل والتجربة يلازمان ويكملان بعضهما البعض ولا يمكن لأحدهما أن يتخلى عن الآخر.

يحتاج المسار العلمي الجديد إلى تبرير وإثبات الخطأ الذي يكون في النظريات السابقة وكذلك إلى التجربة فالعقل وحده لا يمكن أن يجعل العالم يقترب إلى الحقيقة فهو يحتاج إلى التجربة: «وبذلك تبلغ هذه الأشكال من التفكير التي تعيد النظر في التفكير السابق إلى تجاربها التي يعيد النظر في الملاحظات السابقة».[3]

---

[1]-**كارل بوبر**، بحثا عن عالم أفضل، تر: أحمد مستجير، (مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة، 1999)، ص13..

[2]-**جان ڤال**، الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر، تر: فؤاد كامل، ((دط)، القاهرة، دار الثقافة والتوزيع)، ص178.

[3]- **غاستون باشلار**، إبستيمولوجيا (نظرية المعرفة)، تر: درويش الحلوجي ((ط1)، بيروت، دار المستقبل العربي)، 1989، ص86.

المعرفة العلمية عند "باشلار" تحتاج إلى المعرفة العقلية التي تتضمن عناصر التجربة لأن المعرفة التجريبية توجد مبادئ وأفكار عقلية، والاستدلال حسب "باشلار" يجب أن يكون موجودا ولكي نستدل نحتاج إلى التجربة وهي بدورها تحتاج إلى العقل،لأنالعقل له دور مهم في المعرفة ، فربط بين العقل والتجربة و الفكر العلمي مبنى على ذلك، فهو يميز بين الفكر القديم الذي يلقي أتباعه في دنيا الفلسفة.

تعتبر نظرية المعرفة العلمية من أهم المواضيع التي تناولها "باشلار"في معظم مؤلفاته حيث دعا من خلال فلسفته العلمية إلى حركة التدمير وإعادة بناء المعرفة.

يرى "باشلار" أن العلم لا يتقدم بالبناء على أساس المعارف وإنما على اكتشاف الأخطاء في تلك المعارف السابقة فهو يعارض كل من يدعو إلى الاستمرارية أي التواصلية بين العلوم،ومثلا على ذلك نجد "أوغست كونت" (1798-1857 auguste » « conteالذي عاش في عصر سادت فيه النزعة العلموية الوثوقية، ويرى أن أي علم لا يمكن أن يعرف معرفة جديدة إلا من خلال تاريخه ،فدراستنا للتطور العام للفكر البشري له قانونا أساسيا هاما يخضع له ،الذي هو الأدلة التاريخية التي تنتج عن فحص متنبه لأحداث الماضي ،فلا يمكن لأي معرفة أن تتطور دون المرور عبر مراحلها التاريخية .[1]

يدعو "باشلار" إلى التخلي عن ذلك وهذا ما قاله في كتابه "لهب شمعة": « في الواقع إن اقتطاع الصفحات عن سياقها التاريخي...ولا يتحتم علينا أن نرى فيها سوى مزيج من الأفكار الدعيّة والصور المسطحة»[2].

التواصل عند "باشلار" يتلخص في أن الأفكار العلمية هي فقرات نوعية وليست استمرارية ميكانيكية أي أن تطور المعارف العلمية لم يكن انتقالا ميكانيكيا من مستوى إلى آخر عبر الفترات الزمنية المتلاحقة بل قفزات ،فنظرية المعرفة لديه هي فنومنولوجيا أصلية لعلم الطبيعة تمتد بين العلوم الواقعية وظاهرة العلوم ولا يطالب أي انحراف أو حساب من العقل أو تبرير سوى العلم في تاريخه[3]. وهذا ما يبين لنا رفض "باشلار" لأي

---

[1]-**محمد عابد الجابري**، مرجع سبق ذكره، ص278إلى 279.
[2]- **غاستون باشلار**، لهب شمعة، تر: مي عبد الكريم محمود، ((ط1)، عمان: أزمنة للنشر والتوزيع) ، ص40.
[3]- **باتريك هيلي**، صور المعرفة (مقدمة لفلسفة العلم المعاصر)،مرجع سبق ذكره،ص180.

صلة مع النظريات السابقة لأن العلم عنده يتجدد دون توقف وكل نظرية سابقة صارت من الماضي خطأ وقد صحح وأصبحت نظرية جديدة.

أراد "باشلار" قطع الصلة بين العلوم السابقة وإقامة فكر علمي أكثر شمولا وهذا ما جعله يشيد صرحا علميا على نظريات علمية معاصرة في الرياضيات والعلوم الفيزيائية وهذه النظريات الجديدة هي التي حققت قفزة في الفكر العلمي والتي تتمثل في الهندسات اللاإقليدية في العلوم والرياضيات والميكانيكا...إلخ.

إن النظريات السابقة مثل النظرية الإقليدية اعتبرها"باشلار"نظرية ساذجة والنظريات التي يبنى عليها الفكر العلمي الجديد هي النظريات الجديدة مثل النظرية اللاإقليدية وهذا ماقاله في كتابه الفكر العلمي الجديد: «وهكذا يظل المذهب الإقليدي ممثلا للفكر الساذج ... ومن ناحية أخرى أنه يكفي أن نتعمق قليلا بعض وجوه الهندسة اللاإقليدية حتى نرى ظهور هندسة وهندسات أعم منها إلى حد بعيد»[1].

تعتبر الهندسات اللاإقليدية ثورة في علم الهندسة التي أعلنت قيام فكر علمي جديد أكثر شمولا ففي الدراسة الناقدة التي قام بها "باشلار" بعنوان «الشيء في ذاته والميكروفيزياء» بين لنا أننا اليوم بعيدون كل البعد عن تلك الفلسفة العامة للتجربة في الفيزياء[2].

لقد كان العلم قبل قيام الهندسات اللاإقليدية أمام عقلانية مطلقة ذات نسق واحد للعقلانية فهي تقليدية لها وجهة نظر واحدة، وتفهم من خلالها كل نتائج أو اكتشافات ومشاكل المعرفة العلمية لكن بعد قيام الهندسات اللاإقليدية أصبحت العقلانية قادرة على إعادة النظر في مبادئها وهذا يكسبها خاصية جديدة مخالفة للفكر العلمي التقليدي.

---

[1]- **غاستون باشلار**، الفكر العلمي الجديد، تر: عادل العوا، ((ط2)، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، 1983)، ص35.

[2]-**بنروبي**، الفلسفة المعاصرة في فرنسا، تر: عبد الرحمان بدوي، (مكتبة الأنجلو المصرية، 1964)، ص378.

وهذا ما يسميه "باشلار"بالقطيعة الإبستيمولوجية أي قطع الصلة مع النظريات التقليدية وليس بالضرورة أن تكون النظرية الجديدة تواصلا للنظرية القديمة، فالنظريات العلمية الكلاسيكيةليست مكملة للنظريات الجديدة وهذا ما قلناه من قبل على مثال الهندسات اللاإقليدية أو اللاأرسطية ليست مكملة للأرسطية والكثير من النظريات القديمة لا تكمل النظريات الجديدة.

وتعتبر إبستيمولوجيا"باشلار" نسبية متطورة ومتقدمة لا ترتبط بالفكر القديم بل تعترف بالفكر الجديد فقط وهذا ما قالته "سوزان باشلار":« ليس المقصود بالقطيعة الإبستيمولوجية ظهور مفاهيم ونظريات جديدة وحسب بل إنها تعني أكثر من ذلك، إنه لا يمكن أن نجد أي ترابط أو اتصال بين القديم والجديد إن ما قبل وما بعد، يشكلان عالمين من الأفكار، كل منها غريب عن الآخر»[1].

هناك قطيعة ضمن الفكر العلمي ذاته والنظريات الجديدة تحقق قفزة في مسار الفكر العلمي وتبدو دون مثال سابق، ولا يمكن اعتبارهااستمرارا أو تطورا للعلم السابق، وبذلك تصبح النظرية الجديدة حالة خاصة في الفكر العلمي الجديد، وكل نظرية استمرارية هي خارج إطار العلم الجديد لأنه لا وجود لنظريات استمرارية أو تواصلية بل توجد فقط نظريات متقاطعة، منفصلة أي انفصالية.

إضافة إلى قطع الصلة مع العلوم التقليدية ميز "باشلار" بين المعرفة العلمية والمعرفة العامة، فالمعرفة العلمية ليست استمرارا للمعرفة العامة وما يميز العلم عنده هو الشمولية فالمعرفة العلمية يجب أن تكون دقيقة ومتناسقة مخالفة للمعرفة العامة التي تفتقر إلى الدقة والتنظيم والوضوح، وهذا ما قاله في كتابه تكوين العقل العلمي: «إن العقل العلمي يمنعنا من تكوين رأي حول قضايا لا نفهمها حول قضايا لا نحسن صياغتها بوضوح»[2].

---

[1]- نقلا **عن براق نسيمة**،الجابري بين ناقديه مقاربة إبستمولوجيا في نقد جورج طرابيشي، (مذكرة الماجستير غير منشورة)الإشراف:خيرالديندعيش، جامعة سطيف، 2013، ص9.

[2]- **غاستون باشلار**،تكوين العقل العلمي، تر: خليل أحمد خليل،((ط1)، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1981)، ص13.

يقدم لنا "باشلار"مثالا على عدم استمرار المعرفة العامة إلى المعرفة العلمية فهو يفرق بين المصباح الكهربائي والمصباح العادي وليس هناك علاقة تكوينية بينهما لكن لديهما نفس المهمة هي الإضاءة ولكن صورتهما التركيبية مختلفة فالمصباح الكهربائي يعمل عملا تقنيا علميا وهذا العمل لا يمكن أن يكون انطلاقا من عمل المصباح العادي بل ينطلق من دراسة علمية تقوم بدراسة العلاقات بين مجموعة من الظواهر.

إن الفكر العلمي ليس مسارا تلقائيا لدى الكائن البشري ولا فكرا عاميا دون ضوابط وتقنيات علمية منظمة ولقد أعطى لنا مثال على ذلك في القرن 18 كانت الطبقات الراقية تقوم بتجارب مسلية بالصدمات الكهربائية ،بينما ينبغ بهذه الصدمات يكتشفون القوانين العلمية الأولى للكهرباء لكنهم في ذلك الغرفة جعلوا من الكهرباء لعبة مسلية وليس اكتشاف لقوانين مهمة وهذا ما يبين الفرق بين الفكر العلمي والفكر العامي[1].

مما سبق يتبين لنا أن "باشلار" له رؤية معرفية تتمثل في اللاتواصلية في وجه المعرفة العلمية بل هي انقطاعات واستحداثات وقفزات.

إن المعرفة العلمية لا تتقدم بالبناء على أساس المعارف وإنما تتقدم بناءا على اكتشاف الأخطاء في تلك المعرفة السابقة فتصبح المعارف السابقة عبارة عن معارف ميتة أي من الماضي والجديد هو الحي الذي يصلح للمعرفة المتطورة و لهذا يقول "باشلار": «وبينا أن الماضي كله يكون ميتا في اللحظة الجديدة التي يتأكد فيها الواقع»[2].

إن المعارف الجديدة لو قارنها مع المعارف القديمة التي اعتبرها"باشلار" بمثابة أخطاء صححت وأصبحت نظريات جديدة فلا مجال للشك بأن المعارف القديمة لم تعد فاعلة في منظور العلم الجديد فالميت لا تجد له أية منفعة بعد موته.

---

[1]- **جان فرانسوا دورتيي،** فلسفات عصرنا،(تياراتها، مذاهبها، أعلامها، وقضاياها)، تر: إبراهيم صحراوي ((ط1)، بيروت، دار العربية منشورات الإختلاف، 2009)، ص204.

[2]- **غاستون باشلار،** حدس اللحظة،تر : رضا عزوز وعبد العزيز رمزم، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة)، ص59.

إن العلم في تجدد دائم وتقدم إلى نظريات جديدة أفضل من النظريات التي سبقتهاوالفكرة الجديدة هي الأقرب إلى الحقيقة وبذلك يكون العلم متطوّرا على الدوام، وكل نظرية جديدة تكون مؤقتة ومعرضة إلى أن تصحح مثلها مثل النظريات السابقة وهذا ليستمر البناء للفكر العلمي ولتطويره فلا يمكن أن يكون بناءا نهائيا للفكر العلمي.[1]

تكون الفكرة المسبقة خاطئة والفكرة التي تليها هي تصحيح لها وهكذا يكون التجديد في العلوم هو عبارة عن تصحيح للأخطاء الماضية وعلى هذا يعطي مثالا على فكرة دوران الأرض ففي القديم لم تكن هذه الفكرة صحيحة حيث كانوا يرون الأرض ثابتة لكنه مع مرور الوقت وتطور العلم، أصبحت الفكرة الحقيقية دوران الأرض فكرا عقلانيا، فكرا يطبق على مجالات مختلفة لكي يدمر مقولة ثبوتية الأرض التي توجد في الخبرة العامة أي في الفكر القديم.[2]

إن الروح العلمية لا يمكن أن تطرح المسائل نفسها بل تصحح باستمرار وهذا ما يعطي الروح العلمية طابعا حقيقيا[3]. فالتقدم العلمي يكون نسبيا وليس مطلقا ثابتا فهو يعارض الفكر القديم الذي يعتبره مجرد مسائل خاطئة صححت فلا وجود لتراكم العلوم عند "باشلار" بل انفصال دائم والعلوم القديمة لا تكمل العلوم الجديدة وأن الفائدة الوحيدة من تاريخ العلم هي أن نبين كيف أن ما نعده اليوم نظرية علمية صحيحة قد مرت بالعديد من النظريات التي أثبتخطأها، وأما العلم الجديد فهو مصحح للآراء المسبقة لهذا يجب أن تنقطع الصلة مع العلوم التاريخية ليكون علما جديدا.

المعرفة العلمية عند "باشلار" تشبه المعرفة عند " كارل بوبر "القائمة على منهجه التكذيبي، أما "باشلار" يستخدم الخطأ أساس المعرفة العلمية فالخطأ له دور كبير في بناء المعرفة العلمية فهي شرط عنده على أساس أن نفسانيا لا توجد حقيقة دون خطأ مصحح إن سيكولوجية الموقف الموضوعي هي تاريخ أخطائنا الشخصية.[4]

---

(1)- **محمد عابد الجابري**، مرجع سبق ذكره، ص37.

(2)- **غاستون باشلار**، إبستيمولوجيا (نظرية المعرفة)، مصدر سبق ذكره، ص35.

(3)- **محمد سبيلا**، الفلسفة الحديثة، "نصوص مختارة"، تر: عبد السلام بن عبد العالي، ((دط)، بيروت،:إفريقيا الشرق، 2001)، ص183.

(4)-**غاستون باشلار**،جماليات الصورة، تر،غادة الإمام ، ((ط1)، بيروت، التنوير، 2010)، ص53.

الحقيقة عند "باشلار"هي تصحيح الخطأ والتعلم منه ولذلك تتميز المعرفة العلمية بالنسبية وليست مطلقة والعلم في تطوّر مستمر دون توقف وهو يتميز بالبحث المستمر فهو عملية ديالكتيكية يحاول الوصول إلى الحقيقة بتصحيح الخطأ وهذه العملية مستمرة دون توقف أي العلم هو الاستمرار والمحاولة للوصول إلى حقيقة عن طريق الخطأ.

التطور العلمي لا يستند إلى الفكر القديم حسب "باشلار" إنما هناك فصل بين الفكر القديم والجديد فليس من الضروري أن تكون علاقة وطيدة بين القديم والجديد من الفكر، والفكر عنده لم يتطور عن طريق الفكر القديم بل يحتوي عليه فقط، حيث يقول: «فالأجيال الفكرية يعشعش أحدها أحدهما ضمن الآخر، فنحن ننتقل من فيزياء غير نيوتينية إلى فيزياء نيوتينية لا تواجه تناقض، وإنما بتجربة التناقض». [1]فهو يرى أنه ليس تطوّرعلم أحد العلماء مبني على الفكر الذي هو من قبله حيث أن تفسير النظرية النسبية "لأينشتاين" يستند تطوّرها على فيزياء نيوتن وهذا غير صحيح عند باشلار بل هي تجربة سابقة.

إن عقلانية باشلار هي ديالكتيكية وهي في البحث المستمر عن الحقيقة و لم تعد تقام على البداهة كما يعتبرها "ديكارت " أو التطابق كما هو في الفيزياء الكلاسيكية.

إنما الحقيقة أصبحت لا يمكن أن تكون يقينية ثابتة فهي لاحتمية فلا وجود لعلم حتمي، بل هو احتمالي تقريبي وهذا ما يعطي طابع التجديد والتقدم في الأفكار إلى الأمام دون توقف وهذا ما يمتاز به الفكر الإبستيمولوجي الباشلاري.

---

[1]- **جون ليشته**، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، تر: فاتن لبستاني، ((ط1)، بيروت، المنظمة العربية، 2008)، ص23.

المبحث الثاني: الإبستيمولوجيا اللاديكارتية

إن فلسفة العلم عند "باشلار" مبنية على أسس جديدة مخالفة للفلسفات السابقة فهو يريد إعلان عن فكر متطوّر في بنية تطوّر المعرفة العلمية، لكن هذا الفكر لا يتطوّر مع كل اكتشاف علمي جديد بل يتطوّر بفعل النظريات التي تمثل فيها ثورة علمية والتي تفرض قيما إبستيمولوجية جديدة.

يعتبر"باشلار" الفكر العلمي الجديد مخالف للفلسفات السابقة التي هي عبارة عن تكديس ويقول: « وبخلاف ذلك سيتراءى لنا الفكر العلمي بوصفه شديد الانتظام ... بالمقارنة مع شتى الوحدات الفلسفية المجمعة بتكديس شديد داخل المنظمات الفلسفية»[1].

إن من أهم النظريات التي يحويها تاريخ الفلسفة العلمية نجد النظرية الديكارتية فكما نعلم أن في عصر "ديكارت" كان أهم شيء يهتم به هو المنهج لأنه أساس كل المعارف ولهذا يقول"ديكارت": « أن منهجه وسيلة لزيادة علمه شيئا فشيئا باستمرار ووسيلة للوصول إلى المعرفة الحقة لكل ما يقدر المرء على معرفته »[2].

إن ما يوجه العقل للوصول إلى الحقيقة حسب "ديكارت"هو المنهج فهو الذي يسير العقل في اتجاه منظم ليبين ماهية الحقيقة للوصول إلى العلم اليقيني والوضوح، لهذا يرى أن سبب تأخر العلماء في تطوير معارفهم من قبل كان عدم تتبعهم لمنهج واحد لأن ديكارت يتبع في بنائه للمعرفة على منهج واضح حيث أعطى له أهمية كبيرة.

بعد مجيء "باشلار" أصبح الأمر مخالف لما جاء به " ديكارت" لأن "باشلار" رفض المنهج العام "لديكارت" ويرى أن كل المعارف تتبع منهجا واحدا لكل معرفة منهج خاص بها تستعمله للحصول على معرفة جديدة، فالعلم لا يتطور بجموده في منهج واحد بل يتطوّر بابتكاره منهجا خاصا به والمنهج المطلق لا يصلح للفكر العلمي الجديد بل المنهج المتجدد

---

[1]- **غاستون باشلار**، فلسفة الرفض، تر: خليل أحمد خليل ((ط1)، منتدى سور الأزبكية، دار الحداثة، 1985)، ص14.
[2]- **محمود حمري زقزوق**، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، (القاهرة: دار المعارف، 1119)، ص83.

في كل مرة يجدد فيه المعرفة وهذا ما يتبعه "باشلار"، للوصول إلى المعرفة الجديدة والنسبية.

يقول "باشلار":« في التفكير الذي يتخذ القوانين المكتشفة بالتجربة موضع تفكير وينظر إليها بنظرة إلى قواعد تمكن من اكتشاف حوادث جديدة»[1] لأن ما يدعو إليه "باشلار"هو تطوير وتجديد المعارف والمنهج الثابت لا يحقق ذلك بل يعرقل تطوّر العلم فالتطوّر يجب أن يكون بمنهج مغاير مجدد.

إن فيلسوف العلم حين يتخذ بمثل هذا المنهج يجعل نفسه في تعارض مع تقدم العلم ولذلك يجب أن يتخذ المنهج الذي يؤهله للتفكير المتقدم وليس إلى التفكير الراكد والثابت الذي يعيق تطور الفكر العلمي أي عدم الخضوع لرأي الفلسفات العقلانية المثالية التي تؤكد أن الفكر الإنساني بنية ثابتة.

لقد جعل "ديكارت" العقل الطريقة التي نصل بها إلى الحقائق فهو أساس المعرفة ويقول: «لما انتبهت إلى أن هذه الحقيقة أنا أفكر إذن أنا موجود ،كانت من الثبات والوثاقة و"اليقين" ...حكمت أني أستطيع مطمئنا أن آخذها مبدأ أول للفلسفة التي كنت أتحراها»[2] فالمقولات عنده خالصة لا تحتاج إلى الحواس والمعرفة تستند على أساسين هما " البداهة" و"القياس" والعقل هو الذي يقوده إلى الحقيقة لأن الحواس قاصرة وتخدعنا في بعض الأحيان.

أعطى "باشلار" الأولوية للعقل لكنه لم ينكر دور التجربة فالعقل لا يتخلى عنها لأنهما متكاملان حيث لا يمكن للعقل وحده أن يصل إلى حقيقة علمية يقينية، ويرى "باشلار" أن الدراسة العلمية تمدنا في آن واحد بصفات خاصة قابلة للحساب للتعريف التجريبي الدقيق.[3]

---

[1]- **غاستون باشلار**، الفكر العلمي الجديد، مصدر سبق ذكره، ص183.
[2]- **رينيه ديكارت**،مقال عن المنهج، تر: محمود الخضيري ((ط2)، القاهرة، دار الكتاب العربية، 1968)، ص83.
[3]- **غاستون باشلار**، إبستيمولوجيا (نظرية المعرفة)، مصدر سبق ذكره، ص98.

لم يتخذ "باشلار"اتجاها واحدا بل جعل من العقل والتجربة شيئان متكاملان من دونهما لا يمكن أن يتوصل العالم إلى الحقائق أو إيجاد نظريات جديدة لعلم منظم ومتقدم، كما فعل "ديكارت" جعل من العقل وحده ركيزة العلم وأعطى له أهمية كبيرة وأنكر مهام التجربة التي بدورها مهمة جدا في البحث عن الحقائق العلمية.

استخدم"ديكارت" الرؤية العقلية المباشرة التي تدرك الحقائق البديهية والحقيقة عنده واضحة في ذاتها، والفلسفة عنده مجموعة من أفكار بديهية وهي أساس متين لإقامة المعرفة اليقينية والفكرة الحقيقية هي التي تتميز بالوضوح والبداهة وتقوم على الحدس ولهذا يقول: «كل طريقة تكمن في ترتيب وتنظيم المواضيع التي توجه إليها نظرا فكريا بغية اكتشاف حقيقتها ونحن نراها بدقة إذا حولنا القضايا المعقدة والغامضة إلى قضايا أكثر بساطة»[1] فالحدس يمتاز بالوضوح والبساطة.

ولكن ما يتميز به "باشلار" في فلسفته هو لا وجود للمبادئ الأولى لكي تنطلق منها المعرفة العلمية، فالمعرفة تتجدد وتتقدم، لا يبني"باشلار" معرفته على الحدس الذي يتميز بالبساطة بل يبنيها على التحولات العلمية المعاصرة وإنشاء جهازمفاهيمي مختلف عن الجهاز ألمفاهيمي السابق والحقائق التي يتوصل إليها ليست مطلقة بل نسبية متغيرة تعبر عن فكر علمي جديد لا يرتبط بأشكال فطرية، بديهية يقينية، ضرورية ولهذا يقول: « لا يزعم الإلحاح على إدانة نظريات الفيزياء (الديكارتية) ولا على إدانة الآلية التي تظل روحها روحا ديكارتية، وإنما تزعم الإلحاح على إدانة مذهب الطابع البسيطة المطلقة»[2].

المعرفةعند"باشلار" لا تنطلق من مبدأ بسيط أو بديهي بل تأتي بعد تجارب مختلفة وتصحيحات متعددة والنتيجة تكون دائما متغيرة ليتواصل التقدم العلمي.

---

[1]- **رينيه ديكارت**، العالم أو كتاب النور، تر: إميل خوري ((ط1)، بيروت، دار المنتخب العربي، 1999)، ص09.
[2]- **غاستون باشلار**، الفكر العلمي الجديد،مصدر سبق ذكره، القاهرة، ص142.

لا يمكن صنع المعقد بالبسيط عند "باشلار" فالمعرفة العلمية تتشكل بشكل معقد ولا يوجد المبادئ البديهية والبسيطة في عالم المعرفة العلمية الجديدة مثلما كان يفكر "ديكارت" يكتشف الحقيقة المعقدة بالبسيطة وهذا ما قاله "باشلار": « لقد رأينا كيف ولدت فكرة التعقد وهي ظاهرة أساسية في الظاهرات الأولية للمبكر وفيزياء المعاصر...وبينما كان العلم المستمد من وحي (ديكارتي) يصنع المعقد بالبسيط»[1]..

المعرفة العلمية في العلم المعاصر هي مجموعة من العلاقات المتبادلة والمعرفة العامة تختلف عن المعرفة العلمية فهي فكر علمي جديد أكثر شمولا ولا يمكن أن يفهم من العلم "اللاديكارتي" الذي كان سابقا عليه لأنه لا يطوره ولا يدققه وبالتالي فهو ليس استمرارا له، لأن الموقف العقلاني الجديد يرى أنه لا داعي أن يرتبط بالعلوم التي سبقته وهذا كله يبين لنا ما جاء به "باشلار" من قطيعة وتفتح ورفض للعلوم السابقة لأن لكل واحدة منهج خاص بها ولا تكون صالحة لتكمل العلم الجديد الذي يتمثل في إبستيمولوجيا متجددة ومتطورة باستمرار دون توقف وذلك يكشف تجارب جديدة ليظل العلم في تطور غير محدد فهو مختلف عن العلوم السابقة والقديمة التي تكون مطلقة وغير متغيرة ولهذا بين لنا الاختلاف بين الديكارتيةواللاديكارتية.

[1]-المصدر نفسه، ص140.

المبحث الثالث: العائق الإبستيمولوجي

عالج "غاستون باشلار"قضية المعرفة العلمية انطلاقا من مفهوم العائق الإبستيمولوجي ، الذي يقف حجر عثرة أمام تطور العلم واكتساب المعارف والعائق مفهوم وضعه في إطارالمنهج الذي اقترحه لفهم تاريخ العلوم في حقيقته وواقعيته .

انطلق"باشلار"مناعتبار المعرفة العلمية عميلة تجري ضمن شروط نفسية يجب طرحها على شكل عوائق أوعقبات لنتوصل إلي أسباب جمودوركود العلم. وكذا أسباب تقدمه .ويقول في ذلك:«عندما نبحث عن الشروط النفسانية لتقدم العلم ،سرعان مانتوصل إلى هذا الاقتناع بأنه ينبغي طرح مسألة المعرفة العلمية بعبارات العقبات »[1].

إن المقصود بالعائق الإبستيمولوجي هو:«مجموع الأفكار والتصورات المسبقة أوالخاطئة التي استبعدت مع تطور العلم»أوهو جملة من عناصر تمنع الفكر العلمي من التطور،وتؤخره عن النشاط،وتعتبر الفترة التي يقع فيها العلم في ركود دليل على وجود عوائق إبستيمولوجية، وهي مرتبطة بالشروط النفسية للمعرفة،وليست خارجية »[2].

يرى "باشلار"أن هذه العوائق لا تلعب فقط الدور السلبي و إنما لها دور إيجابي حيث يقول:«...ففي صميم فعل المعرفة بالذات تظهر التباطؤات والاضطرابات بنوع من الضرورة الوظيفية»[3]يقصد من ذلك أن وظيفة العوائق لا تقتصر فقط على الناحية السلبية حيث لاتكون دائما سلبية فتجد في بعض الأحيان أدورا إيجابية فلا يمكن أن يتطور العلم دون أن تكون هناك عقبات .

يمكن لنا دراسة العائق الإبستيمولوجي من خلال تاريخ الفكر العلمي باعتبار هذه العوائق عوائق نفسية داخلية دورها إعاقة تطور العلوم وبناء معارف جديدة [4]ولقد حدد لنا

---

[1]-**غاستون باشلار**،تكوين العقل العلمي،مصدر سبق ذكره ص13.
[2]-**رافد قاسم هشام**،مرجع سبق ذكره،ص402.
[3]-**غاستون باشلار**، تكوين العقل العلمي، مصدر سبق ذكره، ص13.
[4]-**مليكة جابر**،إسهام الإبستيمولوجيا في تعليمية علم الاجتماع،مجلة،العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعةورقلة،العدد الثامن جوان 2012 ،ص402.

"باشلار"هذهالعوائق منخلال قراءته للمعرفة العلمية وهي كتالي: .

1)-عائق التجربة الأولى:

يرى "باشلار"أن المعرفة العلمية تعتمد على التجربة الحسية فهو لم يرفض التجربة أو الخبرة الأولى ولكنه دعا إلى تجاوزها،والعقبة الأولى أمام تكوين العقل العلمي هي عقبة التجربة الأولى حيث يقول"باشلار" : «إختبار الموضوع قبل النقد وفوق النقد الذي يعتبر بالضرورة عنصرا من عناصر القول العلمي،وبما أن النقدلم يفعل فعله صراحة فلا يمكن للاختبار الأول في أي حال من الأحوال أن يكون سندا موثوقا»[1]بمعنى أن المعارف الأولى أو الاختبارات الأولى (التجربة الأولى) تعتبرمن عناصر الفكر العلمي ،ومع ذلك لا يمكن أن تتصف بالوثوقية لذا يحب عدم التوقف عندها رغم أهميتها.

إن هذا العائق يعتبر قد تم في ظروف متقدمة زمنيا لذا فهو ليس عاملا للتطور والتقدم العلمي الحاصل في مجالات العلم ،والأفكار المسبقة ،فهو يقف في طريق تقدم العلم ولكي نتفادى هذه العقبة و يجب إخضاعها للنقد والفحص، وإلا فإنها تعتبر عقبة في وجه تقدم العلم .[2]

ذهب "باشلار"إلى اعتبار التجربة الأولى عائقا إبستيمولوجيا يقفأمام تطور العقل فالماضي عنده هدم للعقل ،بحيث لا يكون له وجود ولا أية قيمة لأن الماضي يعتبره مجرد أخطاء وهذا ماقاله في كتابه«حدس اللحظة»: إحساسنا بالماضي هو إحساس بالنفي والهدم».[3]

إن التجربة الأولى أو الخبرة الأولى حسب "باشلار"شكلت عائقا إبستمولوجيا ولم تلعب أي دور في تطور العلم لأنها نتجت عن بادئ الرأي وتكون دائما مصدر الأخطاء،

---

[1]-**غاستون باشلار**، تكوين العقل العلمي، مصدر سبق ذكره، ص21.

[2]-**بن زينب شريف**، غاستون باشلار من الإبستيمولوجيا إلى الخيال الشعري ،الفلسفة المعاصرة، جدل التموقع والتوسع:إشراف: سمير بلكفيف، ((ط1)، الرباط، دار الأمان، 2015)، ص170.

[3]-**غاستون باشلار**، حدس اللحظة، تر: رضا عزوز، عبد العزيز زمزم،((دط)، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية)، 1986، ص26.

وسببا في عدم تقدم العلم ،ويقول في ذلك:«لاداعي للاندهاش من كون المعرفة الموضوعية الأولى هي خطأ أول».[1]

2) – عائق المعرفة العامة (التعميم المتسرع والسهل):

أصبحت المعرفة العامة أمرا موروثا ومسلما بها، غير قابل للتنفيذ مماجعل عقول الناس تتأثر بهذه المعارف السابقة وتتملكها ولهذا أطلق "باشلار"على هذا العائق "بالتعميمات الزائفة"حيث يتدخل هذا العائق في العلم وهي التعميم فنجده في بعض الأحيان منحازا نحو تعميمات متسرعة وسهلة.

لقد سيطر التعميم على الفكر البشري منذ الأزل منذ"أرسطو"Aristote حتى "بيكون" Baconحيث يقول "باشلار": «لم يوقف شيء عجلات تقدم المعرفة سوى عقيدة العام الباطل التي سادت منذ أرسطو حتى باكون والتي لاتزال بنظر كثير من العقول عقيدة أساسية في المعرفة».[2]لما ذهبوا إليه من محاولة تكيف نتائج العلم لما يتماشى ، ويناسب مذاهبهم الفلسفية .

ونجد العديد من الأمثلة عن التعميمات البسيطة والمتسرعة،كتعميم أرسطو القائل بأن كل الأجسام الثقيلة تسقط والخفيفة تصعد بطريقة أكثر توسعا مثل هذه التعميمات كان معمول بها في المرحلة قبل العلمية فيتدخل هذا العائق في العلم،مما ينتج تعميمات يستجيب لها العقل ما يجعل التحليل النفسي للذات العارفة تفحص لاشعور هذه الذات من أجل الكشف عن إغراءات السهولة التي تنقاد لوضع تعميمات تتصف بغير الموضوعية .[3]

إن التعميمات التي كانت نتيجة عن التعميم البسيط في المرحلة قبل العلمية كانت سارية المفعول، ومعمول بها لكن اليوم لم تعد كذلك حيث أصبحت عائقا إبستيمولوجيا فيوجه تطور العلم،وذلك راجع لكونها قائمة على أسس لغوية لاعقلانية يقول "باشلار": «فلا مجال للشك بأن تلك القوانين العامة كانت فاعلة،لكنها لم تعد فاعلة الآن»[4]فهي تجمد الفكروالفكر

---

[1]-**غاستون باشلار**، تكوين العقل العلمي، مصدر سبق ذكره، ص45.
[2]-المصدر نفسه، ص47.
[3]-**رافد قاسم هشام**،مرجع سبق ذكره،ص402.
[4]-**غاستون باشلار**، تكوين العقل العلمي، مصدر سبق ذكره، ص48.

التعميمي يفقد الاختبار دقته مما يجعل التعميم يتمثل في استجابة لمتعة عقلية(مكبوتات) وهذا ما يجعله متسرعا.

3)- العائق اللفظي:

لقد شكل العائق اللفظي حاجزا أمام تطور الفكر ويتمثل هذا العائق في اللغة أو اللفظ حيث تتمدد هذه الألفاظ عندما نستخدمها فتخرج عن دلالتها الأصلية مما يضفي عليها الغموض والإبهام وتكون مشوشة غير معبرة عن معانيها الأصلية .[1]

استدل"باشلار"في هذا العائق بمثال الإسفنج فعبر من خلالها عن تداخل الألفاظ وهذا مانجده في الفكر القبل علمي حيث استند عليها في تفسيرالعديد من الظواهر،فاعتبر الهواء كالقطن أو كالإسفنج،وهذا لما في الإسفنج من صفة القابلية لتشكيل والتشرب فيورد لنا "باشلار"فيكتابه «تكوين العقل العلمي»العديد من الأمثلة في الفكر قبل العلمي،فمثلا"فرانكلين"الذي«يحاول تطبيق التجارب الكهربائية على تجربة الإسفنجة البدائية».[2]

إن مثال الإسفنجة هو تعبير عن العائق اللفظي وهذا العائق يخص اللغة،ولذا يجب إعادة النظر في الألفاظ من أجل ضبطها ورفع اللبس والغموض عنها،وهذا المثال يعكس لنا سذاجة الفكر قبل العلمي. حيث يقول: «إذن يقابل الإسفنجة. وهم من أوهام التجريبية الساذجة».[3]

على الإبستيمولوجي في الفكر العلمي المعاصر من أجل وصوله إلى الموضوعية عليه القيام بتحليل نفسي للغة العلم بغية الكشف عن الألفاظ والكلمات اللاواعية ،وأن يميز بينها وبين المفاهيم والعبارات العلمية المعاصرة .

4- العائق الإحيائي:

أظهر لنا "باشلار"في كتابه «تكوين العقل العلمي »أنالعائق الإحيائي يقف أمام تقدم العلم، واعتبره عقبة وذلك من خلال قوله: إن المعارف البيولوجية (الإحيائية) لا تستدعي انتباهنا إلا بوصفها عقبات أمام موضوعية الفنومنولوجيةالفيزيائية».[4]

---

[1]-**مليكة جابر**، مرجع سبق ذكره،ص402.
[2]-**غاستون باشلار**، تكوين العقل العلمي، مصدر سبق ذكره، ص63.
[3]-المصدر نفسه، ص61.
[4]-**غاستون باشلار**، تكوين العقل العلمي، مصدر سبق ذكره، ص119.

يتمثل هذا العائق في أن بعض العلوم وضعت في غير مجالها أو تخصصها كإدخال علم الأحياء في علم الفيزياءوالكيمياء،ويعتبرالقرن الثامن عشر زاخرا بالأمثلة التي سيطر فيها العلم الإحيائي على الظواهر الفيزيائية مما أعاق تقدم العلوم وعدم اكتشاف قوانين أخرى[1].

اكتفى"باشلار"بالحديث عن الظواهر الإحيائية التي فندتهاالمعرفة الموضوعية فكانت الحياة صفة للفكر القبل علمي وفسرت على أساسها جواهر الأشياء وتشكلت من الطبيعة ثلاث عوالم وهي النبات والحيوان والجماد ، وهذا ماناقضه الفكر العلمي المعاصر فالمادة الحسية في المعرفة الساذجة أبسط من المادة الجامدة،وسيطرت النزعة الإحيائية على العقول حيث يقول:«....إن تناظرات كهذه لا تنحصر أية معرفة راسخة ولا تهيئ أي اختبارنافع »[2].

5- العائق الجوهراني:

تميز الموضوع في الفكر القبل علمي بالاهتمام بالجوهر الثابت دون غيره من الصفات الثانوية السطحية ،فإنشغل معظم الفلاسفة والعلماء في البحث وفهم جوهر الأشياء بدلا عن ظواهرها فشغلت عقولهم وانصرفوا عن الأشياء النسبية.

اعتبر"باشلار"الانشغال بالجوهرعقبة وصفة عقبات المعرفة ككل حيث يقول:«إن عقبة الجوهرانية شيمة العقبات المعرفية كافة».[3]يعبر العائق الجوهراني عن عمق اللاشعور للذات العارفة وهي الاهتمام بالجوهر دون الظواهر ونجد هذه الفكرة سائدة في المرحلة القبل علمية،فلفظ الجوهر لا يعبر عن العمق حيث إن المعرفة العامية سطحية وليست عميقة ويقول في ذلك "باشلار": «يظل الشعورالعمقي شعورا سطحيا »[4].

فالجواهر هي نموذج تفسيري متعدد الأوجه وتكون هذه العقبة في صميم المعرفة بشكل عام وتظهر بذاتها كنوع من الضرورة وتأخذ عدة أوجه،فهي تتكون من الحدسيات الأشد تناقضا وتعارضا،وتتصفبالمطلقة والثابتة وعدم التغير،وتقف هذه العقبة أمام تقدم الثقافيةالعلمية.

---

[1]-**بن زينب شريف**، مرجع سبق ذكره، ص170.
[2]- **غاستون باشلار**، تكوين العقل العلمي، مرجع سبق ذكره، ص121.
[3]- المصدر نفسه، ص79.
[4]-المصدر نفسه، ص80.

إن العوائق التي قدمها "باشلار"ذات طابع نقدي ومنهجي ومفهوم إجرائي فحسبه فإنه ينبغي البحث في المعرفة ذاتها وليس خارجها،وكما أن الفكر يجب عليه تجاوز عائق الفكر ذاته الذي يتمثل في حب البقاء للفكر ،ووجود هذه العوائق تجعل من مهمة الإبستيمولوجي صعبة وعسيرة .[1]

لقد ساهم العائق الإبستيمولوجي في تطور وتقدم العلم وخاصة فيما يخص العلوم الإنسانية ويتجلى ذلك في رصدها للعوائق التي تقف حاجزا في وصولها لموضوعية المعرفة العلمية .

[1]-**جورج كانغيلام**، دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، تر: محمد بن ساسي،((ط1)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2007)، ص268.

المبحث الرابع :الفلسفة المفتوحة.

لقد طغى الطابع النقدي على التفكير الباشلاري، كما ميز أسلوبه في الكتابة أيضا وهذا ما نجده في نقده للفلسفات التقليدية السابقة فيرى أنها لم تساير التطور العلمي المعاصر،وحصرت نفسها بين الفلسفة والعلم،فاهتم فلاسفتها بالمبادئ العامة للفكر وأرجعوا العلوم إلى الواقع التجريبي.

إن العقلانية تشمل الفلسفة والنظرية وهي ميدان للتأويل والعقل.والواقعية هي التي تزود العقلانية بالمادة المطلوبة لإعطاء تأويلاتها،ويكون الإنسان حسب "باشلار"علميا هذا لا يعني أن يعطي الأسبقية والأفضلية للفكر على الواقع،وإنما يكون كذلك عندما يقر بالصلة الوثيقة بين الفكر والواقع ويقول في ذلك: «من الآنفصاعدا موضوع حوار بين العقلاني والخبراني»[1]وهكذا تكون هذه العقلانية متفتحة بالقدر الكافي لتلقي تحديدات جديدة من التجربة ويصوغها العقل إلى نتائج علمية جديدة.

حاول "باشلار" الربط بين عمل العقل وعمل التجربة وأن كلا منهما يكمل الآخر ولا نستطيع الوصول إلى فعالية وموضوعية في الفكر العلمي إلا بواسطة هذين الأخيرين معًا ويقول في ذلك: « ينبغي بعد الآن الوقوف في المحور حيث يتخذ العقل العارف بالموضوع المعين لمعرفة ، ويحدد تجربته بمزيد من الدقة، ففي هذا الموقع المحوري على وجه التحديد، نجد جدلية العقل والتقنية»[2].

إن الإبستيمولوجيا المعاصرة استندت إلى جدلية فاعلة بين العقل والتجربة والعقلانية المنفتحة هي التي لا تميز بين التجربة والعلمية ،و هذا هو المشروع الذي جاء به "باشلار" في إقامة فلسفة جديدة منفتحة تتجاوز الفصل بين ما هو عقلي وما هو تجريبي.

لقد قام "باشلار"بصياغة مفهوم آخر للجدل غير مرتبط بالمفهوم الذي قالت به الفلسفة التقليدية فاعتبر العقل العلمي عقلا جدليا يقودنا إلى جدلية النفي عنده، فكان أساسها رفض وهدم القديم، والنفي يجب أن يكون على صلة بالتكوين الأولي، وكما يجب أيضا أن يسمح بتعميم جدلي وأن يتضمن ما ينفيه من أجل تطور الفكر العلمي ويقول "باشلار" في ذلك:

---

[1]-**غاستون باشلار**، العقلانية التطبيقية، تر: بسام الهاشم، ((ط1)، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1984)، ص29.

[2]- المصدرنفسه، ص32.

«والواقع أن كل ازدهارللفكر العلمي منذ قرن صادر عن تعميمات جدلية كهذه مع تضمن ما ينفي ».[1] وقد أعطى مثالا عن ذلك الهندسة اللاإقليدية التي تتضمن الهندسة الإقيلدية والميكانيك غير النيوتيني يغلف الميكانيك النيوتيني...

إن العقل حسب "باشلار" يوجد في علاقة جدلية مع المعارف التي ينتجها فهو ينتج المعارف ولكنه يخضع لتأثير هذا على بنيته والدليل على ذلك الثورة التي أحدثتها النظريات العلمية المعاصرة في مجال الفيزياء والرياضيات فيما يخص المفاهيم التي كانت تعتبر مبادئ أولية ثابتة.

إن العقل ليس بنية ثابتة مطلقة بل يتغير وله تاريخ يشهد على تطوّر معارفه، كما أنه لا ينتج العلم فحسب بل هو أيضا يتعلم من العلم أيضا ويقول في ذلك "باشلار": «فالعلم بصفة عامة يعلم العقل وعلى العقل أن يخضع للعلم، للعلم أكثر تطورا، للعلم الذي يتطور».[2]

ومعنى هذا أن على العلم أن يخضع للعلوم التي تفوقه تطورا أي العلوم المعاصرة وعلى العقل أيضا أن يخضع لبنيته وهذا تبعا لجدل المعارف العلمية من أجل الاستفادة من الثورات العلمية التي حدثت.

انتقد"باشلار" في كتابه العقلانية التطبيقية الفلسفة المثالية والواقعية وقال في ذلك: «أما الفلسفتان القصويان، المثلانية والوقعانية، فلا قوة لهما إلا وثوقيتهما فالوقعانية نهائية والمثلانية مبسترة، وليست لأية منهما تلك الجمالية التي يطالب بها الفكر العلمي».[3]

عارض "باشلار" الفلسفة المثالية كونها تجعل الذات المبدأ الوحيد والأساسي للمعرفة والمعرفة عندها تكون تامة وهذا راجع إلى المقولات القبلية وعملية المعرفة عندها تبدأ عندما تنطبق المقولات القبلية على الواقع أما بالنسبة للفلسفة الواقعية فينتقدها لأنها تتبنى مفهوما للواقع مغايرًا عن المفهوم الذي جاء في الثورة العلمية المعاصرة، كما يرى أنه هناك واقعًا موضوعيًا مستقلاً عن معارفنا.[4]

---

[1]- **غاستون باشلار**، فلسفة الرفض، مصدر سبق ذكره، ص156.
[2]- المصدر نفسه، ص157.
[3]- المصدر نفسه ، ص38.
[4]–**رافد قاسم هشام**، مرجع سبق ذكره، ص214.

إن العقلانية الباشلارية أخذت اتجاهين اتجاه الفلسفة واتجاه العلم، والعلم نتاج الفكر البشري يراعي فيه قوانين الفكر ويتكيف مع العالم الخارجي، فالعلم هو الذي يبدع الفلسفة وفي هذا يقول"باشلار": «إن العلم يبدع الفلسفة...»[1]ومهمة الفيلسوف هنا تكمن في ترجمته ويحرر لغته ليواكب الفكر المعاصر.

إن الميزة التي اتصفت بها الفلسفة المفتوحة عند "باشلار" هي قبولها للنظريات الجديدة ويتضح تفتحها جليا في تقبلها للاتجاهات الفلسفية فتأخذ ما يناسبها لاكتشافات علمية جديدة، وهي لا تقبل أي تصور ولا تقر بالانفتاح والتجديد، فتعالج التأخر الذي اكتسى الفلسفات السابقة المنغلقة على نفسها وتدعو إلى بناء تصورات ومعارف جديدة قابلة للتغير باستمرار وكل ذلك في إطار مشروعه وهي الفلسفة المفتوحة.

وفي الأخير نستنتج من هذا الفصل، أن المعرفة في نظر "باشلار" تعتمد على العقل والتجربة معا فهما متكاملان،ولهذا جاء "باشلار" مخالفا للاتجاه الذي يتخذ العقل وحده دون التجربة ،أوالتجربة دون العقل، فالمعرفة العلمية ليست مثل المعرفة العامية،لأن المعرفة العلمية مبنية على القوانين المنظمة عكس المعرفة العامية التي هي عبارة عن أفكار بسيطة.

ولهذا يرى أن المعرفة العلمية الجديدة منفصلة ومنقطعةعن المعرفة القديمة لأن الحقيقة العلمية نسبية فلا وجود لحقيقة علمية واحدة وثابتة ونهائية وهذا ما يجعل من العقلانية العلمية ليست عقلانية وثوقية ومنغلقة وإنما عقلانية منفتحة تقوم على النفي والإثبات فهي في بحث مستمر عن الحقيقة .

وهذا التطور الجدلي عند "باشلار" يأتي ردا على النظرية الاستمرارية على مستويين مستوى الاستمرار بين التفكير العامي والتفكير العلمي،ومستوى الاستمرار بين الفكر العلمي الجديد والفكر العلمي القديم .

ولهذا يرى "باشلار" أن فلسفة العلم منفتحة،وتتجدد باستمرار ولا تحتاج إلى المعرفة القديمة بل تعتبرها مجرد أخطاء وقد صححت لتكون علما جديدا متطورا ومتقدما دون توقف.

---

[1]- **غاستون باشلار، العقلانية التطبيقية**، مصدر سبق ذكره، ص38.

يعتمد "باشلار" على النظريات الجديدة التي تنقد النظريات القديمة، مثل النظرية اللاديكارتية فهي تنقد النظرية الديكارتية من عدة جوانب،فعند "باشلار" لا وجود لمنهج شامل وليس ثمة عقل ثابت يحكم جميع أنماط معارفنا،ولهذا يرى أن الإبستيمولوجيا اللاديكارتية ليست استمرارية للنظرية الديكارتية بل تنقدها وهي مختلفة عنها لأنها تعتبر علما جديدا مختلفا عن العلم القديم

فالمعرفة العلمية عند"باشلار" تعبر عن القفزات الكيفية في تطور المعرفة العلمية ، وذلك نتيجة تجاوز العوائق الإبستيمولوجية،لأنه لا يمكن إنتاج معرفة علمية دون التخلص من العوائق الإبستيمولوجية، والتي ذكرناها سابقا.

الفصل الثالث:

توظيف باشلار للتحليل النفسي في الإبستيمولوجيا

الفصل الثالث: توظيف"باشلار" للتحليل النفسي في الإبستيمولوجيا

المبحث الأول: عناصر التحليل النفسي الباشلاري

المبحث الثاني: الموضوعية العلمية والتحليل النفسي

المبحث الثالث: الليبيدو والمعرفة الموضوعية

تمهيـــــد:

لقد أثرى"غاستون باشلار"الإبستيمولوجيا بمفاهيم أخذها من التحليل النفسي،فدرس المجال العلمي للإنسان وكل ذلك ضمن التحليل الإبستيمولوجي الذي أتى به.

انطلق"باشلار" من فرضية اللاشعور عند "فرويد" وكذا اللاشعور عند "يونغ" فتأثر بهما رغم أنه رفض تفسير الأعماق اللاشعورية.

تحدثنا في فصلنا هذا في البداية عن عناصر التحليل الباشلاري ثم الموضوعية العلمية والتحليل النفسي لنختم في الأخير بالمعرفة الموضوعية والليبيدو الذي اعتبره"باشلار" كعائق يقف حائلا دون تقدم الفكر العلمي.

خصصنا هذا الفصل من اجل توضيح الصلة بين إبستيمولوجيا"باشلار" والتحليل النفسي الذي هو موضوع بحثنا.

الفصل الثالث: توظيف"باشلار للتحليل النفسي في الإبستيمولوجيا

المبحث الأول: عناصر التحليل النفسي الباشلاري

تأثر"باشلار"بمدرسة التحليل النفسي الفرويدية بما جاءت به من جديد فيما يخص تشخيص الحالات المرضية فكان اكتشاف" فرويد"للاشعور نقطة انطلق منها تحليله الإبستيمولوجي، وكما تأثر أيضا بكارل جوستاف يونغ C.G.Jung*(1857-1961) في فكرة اللاشعور الجمعي.

لقد قام الطبيب النمساوي "سيغموند فرويد " بوضع أسس التحليل النفسي الذي كان نتيجة محاولات عديدة لإيجاد طرق لعلاج الحالات المرضية النفسية مما نتج عنه اكتشافه لوجود حياة نفسية ثانية وهي " اللاشعور" وذلك في الوقت الذي كان لا تتم التفرقة بين الحياة النفسية والحياة الشعورية الواعية.

قبل أن نتطرق إلى موقف "باشلار" من فكرة اللاشعور لا بد لنا أن نوضح هذه الفكرة مع "كارل يونغ" بحيث تعتبر فكرة اللاشعور والعقدة والحدس من أهم المواضيع التي أثرت في الفكر الباشلاري وساهمت في التحليل الإبستيمولوجي .

لقد أعطى " كارل يونغ" مفهوما وتفسيرا آخر مغايرا للتفسير الذي ذهب إليه "فرويد" في فكرة اللاشعور فقسمه إلى شعور شخصي ولاشعور جمعي ولاشعور شخصي وجعل من اللاشعور الجمعي أساس الحياة النفسية كما تطرقنا أيضا إلى الغريزة ومفهوم العقدة وهذا ما أخذه "باشلار" ليوظفه في الإبستيمولوجيا.

حيث يقول "يونغ" : « إن الخافية الجامعية تشكل القاع المظلمة التي تنهض على الوظيفة التكيفية Fonction Adaptive التي تقوم بها الواعية بصورة بارزة جدا»[1]. بمعنى أن

---

[1]-**كارل غوستا ف يونغ**، دور اللاشعور ومعنى علم النفس للإنسان الحديث، تر: نهاد خياطة، ((ط1)، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1992)، ص15.

اللاشعور الجمعي هو السمة المميزة لنظرية " يونغ" وفيه تختزن الخبرات المتراكمة عبر الأجيال.

يعتبر " يونغ" أول من تطرق إلى مفهوم الحدّس بتعمق كعالم نفس، وهو عملية قبل منطقية مرتبطة بالحياة البدائية يقول في ذلك: «...تنشأ روابط تداعوية ذات شدة عالية تعبر من فوق الواعية أو ترتفع إلى الواعية على هيئة إيحاءات وحدوس...»[1].

انطلق"باشلار" في مهمة جعل الإبستيمولوجيا تقوم بتحليل نفسي للمعرفة من فرضية أساسية في علم النفس وهي اللاشعور فاستعمل مفاهيم من التحليل النفسي بطريقته الخاصة.

يرى "باشلار" أن التحليل النفسي الكلاسيكي القديم ركز على الحياة الفردية النفسية التي تحيط به وذلك من طرف المجتمع أو العائلة فركزت اهتماماتها على تفسير الأعماق اللاشعورية للإنسان وهذا عكس ما ذهب إليه "باشلار" حيث رفض تفسير الأعماق اللاشعورية ويقول في ذلك: « إن من حسنات التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية الذي تقدمه هو بمنطقة أقل عمقًا من المنطقة التي تبسط فيها الغرائز البدائية...»[2].

إن التحليل النفسي القديم اهتم بدراسة الأساطير والميثولوجيا وهذا ما جعله لا يهتم بالدراسات العلمية التي ركز عليها"باشلار" فيعتبر أن التفسير العلمي للتحليل النفسي غير مناسب للاكتشافات والاختراعات التي وجدت فيما قبل التاريخ وكما انه يذهب إلى أبعد من ذلك فيصنفها بأنها جافة وسريعة فيعوض التحليل النفسي المباشر بالتحليل النفسي غير المباشر الذي يدرس اللاشعور ويبحث في منطقة الشعور، فيقول"باشلار": إن هذه التفسيرات صادرة عن عقلانية جافة وسريعة...لذلك نحن على اعتقاد بأنه سوف يتفسح المجال لنوع ثان من التحليل النفسي، غير المباشر يتولى على الدوام البحث عن الخافية (اللاشعور) في الواعية (الشعور)».[3]

---

[1]-المرجع نفسه، ص13.

[2]-**غاستون باشلار**، النار في التحليل النفسي، تر: نهاد خياطة، ((ط1)، بيروت، لبنان، دار الأندلس، 1984)، ص5.

[3]-المصدر نفسه، ص25.

ركز "باشلار" على البداهة الموضوعية من أجل أن يكشف عن القيم الذاتية، فأقر بوجوب البحث عن الهاجس في الخبرة، فالعلم عنده يتكون بالهاجس والخبرة تأتي في المرتبة الثانية فالتحليل النفسي غير المباشر الذي أقامه يبدأ البحث فيه من اللاشعور وهذا من خلال الشعور وهذا في قوله: « والعلم إنما يتكون بالهاجس بأكثر مما يتكون في الخبرة ...والهاجس عند الإنسان الثقافي هو فكر ممدد...»[1].

يتمركز اللاشعور عند "باشلار" في طبقة وسطى بين ما هو شعوري وما هو لاشعوري حيث أن الإبستيمولوجي يتتبع مظاهر الشعور من أجل أن يتوصل من خلالها إلى الدوافع والرغبات والميول اللاشعورية وبهذه الطريقة يتمكن التحليل الإبستيمولوجي من الاستفادة من التحليل النفسي.[2]

دعا "باشلار" إلى دراسة التأمل الشارد أمام النار تعويضًا لدراسة الأحلام بحيث أن التحليل النفسي التقليدي قام بدراسة الحلم وتفسيره تفسيرًا جنسيًا حيث يقول: « وجدنا التحليل النفسي، التقليدي قام بدرس مطوّل لأحلام النار ..... هي تلك الأحلام التي يكون التفسير الجنسي فيها هو التفسير المستيقن أكثر من غيره».[3] لكن "باشلار"استبدل دراسة الأحلام بدراسة هاجس النار فالهاجس يختلف عن الحلم وإن أهم قيمة توحي بها النار هي أنها تقدم نموذجًا حيًا للتغيير والتحوّل وتدفع بالحياة إلى حدودها القصوى « ومما لا شك أن النار تجلب الدفء والسلوى لكننا لا نشعر بهذه السلوى إلا في نطاق التأمل الطويل...»[4].

لقد ذكر لنا "باشلار" في كتابه "النار في التحليل النفسي" الدور الذي تلعبه النار، فاعتبرت ذات قيمة وجودية ، وتقدم نموذجًا من التغيير والتحوّل إلا أنها ظلت مرتبطة بالثقافات القديمة حيث فهمت ظاهرة على أساس أنها كائن اجتماعي أكثر منها طبيعي حيث أن الإنسان البدائي وظّف النار كمقاوم اجتماعي وأخلاقي، وتأتي الخبرة الطبيعية في المرتبة الثانية بعد الوازع الاجتماعي الذي لا يسمح لنا بتأسيس معرفة موضوعية يقول "باشلار" والواقع أن الوازع الاجتماعي هو الأول، أما الخبرة الطبيعية فلا تأتي إلا في

---

[1]-المصدر نفسه، ص25.
[2]-**محمد وقيدي**، ماهي الإبستيمولوجيا ،((ط1)، بيروت، دار الحداثة، 1983)، ص220.
[3]-**غاستون باشلار**، النار في التحليل النفسي، مصدر سبق ذكره، ص17.
[4]-المصدر نفسه، ص18.

المحل الثاني ومعها برهان مادي مرتجل، هو من الغموض بحيث لا يسمح بتأسيس معرفة موضوعية عليه»[1].

استمد"باشلار" فكرة العقدة من "كارل يونغ" الذي يرى أنها تجمع لخبرات وتجارب تتمحور حول نقطة معينة، يظل الفرد يتحدث عنها مرارًا وتكرارًا في حياته وتكون محور كل تفسيراته من أمثلتها عقدة الأب، ...« والعقد غير مشروطة بالخبرة فقط وإنما بطريقة الفرد في رجعه على تلك الخبرة»[2] وتوجد هذه العقدة في اللاشعور الشخصي والفرد لا يكون على معرفة تامة بها فيستخدم الظواهر العرضية الغريبة في خدمة عقدته.

دعا "باشلار" إلى عدم الخلط بين "عقدة أوديب"*"وعقدة بروميثيوس"**حيث أن هذه الأخيرة عبارة عن دوافع نفسية وعقلية تدفعنا إلى التعمق في المعرفة مما يساعد على نمو المعرفة البشرية حيث يقول: « لا يجب أن نسارع إلى الخلط بين عقدة «بروميثيوس» هذه و«عقدة أوديب» المعروفة في التحليل التقليدي»[3]، فعقدة أوديب فسرت على أنها تعود إلى رغبات ودوافع نفسية.

لقد اعتبرت عملية التصعيد النفسي للعناصر الجنسية تقود إلى الإبداع الفني أما "باشلار" فلقد دعا مؤرخ العلوم إلى الاستفادة من المخطوطات وأن يتابع عملية تطوّر العلم حيث يقول "باشلار" عن التصعيد في التحليل النفسي أنه مجرد رغبات ودوافع جنسية لم يستطع صاحبها تحقيقها في الواقع: « إن هو إلا رغبة جنسية محجوبة أو مقنعة أو مصعدة تصعيدًا لطيفًا»[4].

---

[1]-المصدر نفسه، ص14.

[2]-كارل غوستاف يونغ، علم النفس التحليلي، مرجع سبق ذكره، ص27.

*- عقدة أوديب: هي كلمة استخدمها فرويد للدلالة على الابن الذي يتعلق بأمه ويغار عليها إلى درجة أنه يكره أبوه وهي مستوحاة من قصة صبي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد أحب أمه إلى درجة قتل أبيه وهناك رواية أخرى عن قصة أوديب وهذه الكلمة تعني الأقدام المتورّمة.«- سيغمود فرويد، الحياة الجنسية، مصدر سبق ذكره، ص10.»

**-عقدة بروميثيوس: هي أسطورة من الأساطير اليونانية القديمة استعملها "باشلار" ليوحي بها في كتابه النار في التحليل النفسي وهي توحي إلى النار والحرارة التي تمنحان وسائل التفسير في مجالات متنوعة وتجارب شخصية فالنار ظاهرة تستطيع تفسير كل شيء فهي حميمية تعيش في السماء وفي قلوبنا وهي الوحيدة التي تتلقى بوضوح الشر والخير،«غاستون باشلار ،النار في التحليل النفسي ،ص11».

[3]-**غاستون باشلار**، النار في التحليل النفسي، مصدر سبق ذكره، ص15.

[4]-المصدر نفسه، ص91.

يتسم التصعيد الباشلاري بأنه تصعيد جدلي يستمد من الكبت المنهجي فيدفع الإنسان على الإطلاع على ثقافة أوسع والكبت عنده مرتبط بعمليات عقلية ويسعى الكبت عند "باشلار" إلى الكشف عن الأخطاء وتصحيحها وبذلك يطوّر ويساهم في نمو المعرفة العلمية يقول "باشلار":« لأنه ما من فكر علمي بلا كبت»[1].

اهتم التحليل النفسي بتفسير الظواهر النفسية كالأحلام وعمليات التفكير، الغرائز... وهذه الظواهر تتعلق بالفرد أما بالنسبة للتحليل النفسي الباشلاري فهو يقوم بدراسة ظاهرة علمية أو نظرية علمية دون أن يعير اهتمامه لتحليل شخصية العالم فالعلم في تطوّر وهو من إنتاج مجموعة من الأشخاص لا شخص واحد وهو يدفع العلماء والباحثين لإيجاد وتطوير نظريات جديد بعيدة عن الأفكار القديمة.

[1]-المصدر نفسه، ص92.

المبحث الثاني: الموضوعية العلمية و التحليل النفسي.

اهتم"باشلار" بشكل أساسي بالتحليل النفسي للمعرفة العلمية فطبق مفاهيم علم النفس على المعرفة العلمية بحكم تأثرها باللاشعور والكبت «فعرف "باشلار"الإبستيمولوجيا من هذه الناحية بكونها التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية أي العلمية»[1].

أرجع "غاستون باشلار" سبب تأخر وجمود المعرفة الموضوعية العلمية إلى القيم اللاشعورية فأطلق على هذه الأخيرة مصطلح العائق الإبستيمولوجي حيث أن هدف التحليل النفسي لها هو معرفة هذه العوائق من أجل معالجة ركود العلم.

استطاع الفكر العلمي المعاصر تجاوز العائق الإبستيمولوجي ودرس بطريقة غير مباشرة الواقع وقام بتصحيح الأخطاء وحسب "باشلار" فالنظرية العلمية عبارة عن بناء عقلاني فيقول في ذلك: « إن بسيكولوجية الموقف الموضوعي هي تاريخ أخطائنا الشخصية»[2].

و في عملية المعرفة الموضوعية نجد دورا كبيرا للتحليل النفسي حيث لا يمكن أن نتوصل إلى نتائج موضوعية دون أن تسيطر عليه الدوافع الجنسية الداخلية، فالتحليل النفسي ينطلق من الفرضية اللاشعورية وهذا يعني أن على المحلل النفساني أن يعي الحياة النفسية الشعورية ولا يقف عندها فقط: «فالأمر يقتضي اعتبار الجانب اللاشعوري من الحياة النفسية الذي يتم كبته لعدم إمكان تحقيقه...».[3]

---

[1]- نقلا عن: **محمد وقيدي**، مرجع سبق ذكره، ص217.
[2]-**غاستون باشلار**، تكوين العقل العلمي، مصدر سبق ذكره، ص191.
[3]-**محمد وقيدي**، مرجع سبق ذكره، ص216.

لقد دعا "باشلا"ر إلى إحداث قطيعة بين المعرفة العلمية والمعرفة العامية «إذن لا بد من التسليم بقطيعة حقيقية بين المعرفة الملموسة والمعرفة العلمية...».[1] وهذا راجع إلى كون الإنسان يعتقد دومًا أنه يملك الحقيقة والمعرفة وهذا ما يعيق التطور العلمي فيرى أنه ليس بحاجة إلى معارف جديدة، وهذا ما نجده في الفكر القبل علمي، فعلى الفكر العلمي المعاصر تجاوز الطبيعة وتأسيس الموضوعية على السلوك الاجتماعي فالخطوة الأولى في الموضوعية العلمية تكمن في الشك في تصوراتنا وفي الواقع وهذا ينقلنا من الموضوع المباشر إلى موضوع غير مباشر حيث إن « كل مقياس واضح هو مقياس مهيأ وإن نسق الوضوح المتزايد هو نسق بناء أدوات متصاعد إذن نسق تكون اجتماعي متصاعد...».[2]

على الباحث العلمي التخلص من كل الأفكار الذاتية لأن الموضوعية العلمية تتطلب منه الاستمرار والمواصلة في البحث، فالالتزام الموضوعي يتيح له التخلص من القيود الذاتية: « وهي ليست بعد سوى العقبات الأولى التي يفترض بالعالم أن يتخطاها لكي يكتسب الموضوعية العلمية الدقيقة».[3]

ونجد "باشلار" قد عبرعن هذه العقبات بمفهوم أخذه من التحليل النفسي وهو الكبت ولقد أعطى مفهوم المكبوتات العقلية ليعبر عن العقبات الإبستيمولوجية.

إن الكبت يكون في مجال المعرفة العلمية النفسية، لكن هذا لا يعني اكتساب للمكبوتات بل إن هدف التحليل النفسي هو البحث عن هذه المكبوتات النفسية وكذلك التحليل النفسي للمعرفة العلمية يهدف أيضا للكشف عن هذه المكبوتات العقلية وهذا بغية معرفة مدى تأثيرها على العمل العلمي فيجعل من اللاشعور في الحياة النفسية سببًا لركود أزمة المعرفة العلمية والمكبوتات العقلية هي العوائق الإبستيمولوجية.

---

[1]-**غاستون باشلار**، تكوين العقل العلمي، مصدر سبق ذكره، ص191.
[2]-المصدر نفسه، ص193.
[3]-المصدر نفسه، ص198.

«إن عملية الكبت هي التي تنقل الرغبة من الشعور إلى اللاشعور ليست عملية اختيارية، إنها ضرورة وظيفية للحياة النفسية»[1]. وكما أشرنا سابقًا فإن هذه المكبوتات النفسية هي مكبوتات عقلية بالنسبة للتحليل النفسي للمعرفة العلمية أي عوائق إبستمولوجية وهذه العوائق عند الكشف عنها تساعد المعرفة العلمية على أن تكون واعية وهذا ما يؤدي إلى توقفها وإزالتها.

إن العوائق الإبستيمولوجية ليس لها فقط دور سلبي إنما لها أيضا دور إيجابي في العملية المعرفية وذلك يتجلى في مساعدة الباحث على تخطي الجمود وكذلك البحث عن جديد المعارف لأن هذه العوائق ناتجة عن صيرورة العملية ذاتها«بالرغم من أن العوائق الإبستيمولوجية هي مظهر تعطل العمل العلمي أو توقفه أو نكوصه فإنها مع ذلك ناتجة عن صيرورة هذا العمل العلمي ذاته».[2]

لقد ساهم التطوّر الذي حدث في الرياضيات في تطوّر الفكر العلمي المعاصر وذلك بالتخلص من عقبة الذاتية، فالإنسان المعاصر استطاع أن يبدع ظواهر جديدة بحيث جمعت الرياضيات بين التجربة والتقنية والتحليل النفسي للفكر العلمي المعاصر برهن على أنه فكر تكويني نفسي والماضي يمثل تأملات طبيعية« إذن لا بد من التفكير في القديم وفقًا للجديد».[3]

إن المعرفة العلمية حققت نجاحًا كبيرًا في كل المجالات وهذا راجع إلى اتصافها بالدقة والموضوعية والصرامة وهي تتقدم لتتجاوز العوائق التي تحملها في ذاتها وبالتالي تحقيق معرفة موضوعية علمية.

---

[1]-**محمد وقيدي**، ، مرجع سبق ذكره، ص219.
[2]-.المرجع نفسه ،ص219
[3]-**غاستون باشلار**، تكوين العقل العلمي، مصدر سبق ذكره، ص 200.

المبحث الثالث:الليبيدو والمعرفة الموضوعية

يتفق "باشلار" مع التحليل النفسي الكلاسيكي الذي يرى أن الشهوانية أقوى من الشهية ،فالشهية هي واضحة مباشرة وتتمثل شهية الإنسان بشكل بسيط في إرادة الأكل والشرب أما الشهوانية تتطلب قوة الصبر فهي تتكون من أفكار مطولة ومشاعر قوية يمكن أن تغلب الإنسان .

أعطى "باشلار" مثالا على قوة الشهوانية عند العاشق فهو يحتاج إلى الصبر للوصول إلى معشوقته وهذا ما شبهه بالعالم فالعالم يحتاج إلى قوة الصبر للوصول إلى علم جديد ،حيثيقول "باشلار" في كتابه تكوين العقل العلمي :« فالعاشق يمكن أن يكون صبورا كالعالم»[1].

استخدم "فوريد" الشهوانية أو الليبيدو*"Libido"في نظريته التحليل النفسي لذلك نقول إن "باشلار" قد اتخذ العديد من الألفاظ في مشروعه العلمي "الأبستيمولوجي" فاستثمر في هذا العمل التحليل النفسي الفرويدي لكن ظل يأخذ مسافة مع الجهاز ألمفهومي وهذا لم يمنعه من الاستشهاد بمفاهيم اللاوعي، الكبت، والليبيدو.

فباشلار لكي يعين مهمة الأبستيمولوجيا في القيام بالتحليل النفسي للمعرفة الموضوعية يجب أن يستخدم الكلام المستدل عليه ومن أهمها "الليبيدو"وحسب "باشلار" الليبيدولا يستخدم في الفن فقط بل يستخدم في مجال أوسع من ذلك وهذا ما يقوله في كتابه

---

[1]-**غاستون باشلار**، تكوين العقل العلمي،ترجمة :مصدر سبق ذكره ص 161.

*-الليبيدو :مصطلح لاتيني ،ويكتب أيضا LUBIDO ،ويردف الشهوة ،واللذة الجنسية ،واستخدمه "فرويد" بمعنيين ففي كتاباته الأولى عن الغريزة الجنسية كا معناه الطاقة النفسية المنصرفة في خدمة هذه الغريزة ،وفي الكتابة اللاحقة التي طوّر فيها نظريته في الغرائز وصار المعنى الطاقة النفسية عموما والمنصرفة لأي نشاط بدني ونشأتها الأولى تكون في "الهو"،(عبد المنعم الحفني ،موسوعة عالم علم النفس ،ص165)

النار في التحليل النفسي :« في الواقع الليبيدو لا تتواجد في الفن وحسب بل هي مصدر جميع أفعال الإنسان الصانع»[1]

فالتحليل الأبستيمولوجي يجب أن يكون تحليلا نفسيا للمعرفة الموضوعية بما يعني تحليلا لفعل المعرفة للذات العارفة التي ينبغي البحث في لاشعورها، وكما نعلم أن الليبيدو مركزها اللاشعور ولهذا يصفها "باشلار" بالغموض وليس بالبساطة ورغم ذلك نجد لها أهمية كبيرة ودور مهم في التفكير وما يساعدها على ذلك هو التحليل النفسي للاشعور العلمي فهو يساعد على تحديد دور "الليبيدو" في التفكير.

ولهذا تكون الرغبات الجنسية عبارة عن أفكار غامضة وليست بسيطة وواضحة فهي بعيدة عن الأعين ومكانها اللاوعي وليس الوعي لذلك تتصف بالغموض وهذا ما يقوله "باشلار" في كتابه شاعرية أحلام اليقظة:«وبالفعل فإنه من المؤكد إن الكلام يبقى مرتبطا بالرغبات الأكثر بعدا والأكثر غموضا التي تحرك النفسية الإنسانية في أعماقها ، اللاوعي يتم دون توقف ، إننا نسمع حقيقة بتنصتنا لتمتماته، أحيانا تتجاوز رغبات فينا، ذكريات».[2]

ولذلك يدرس "باشلار" اللاوعي العلمي عن طريق دراسة وتحليل المشاعر التي تتخذ من الليبيدو أي الشهوانية فهي عبارة عن قوة من مشاعر تمارسها على الأشياء والحيوانات فهي عبارة عن مكبوتات يمكن أن تسيطر على الأشياء والحيوانات والإنسان مكانها اللاشعور لذلك تكون الشهوانية شعور قوي يسيطر على الفرد وفي بعض الأحيان نجده هو الذي يتحكم فيه لكي يكون مراقبا له وهذا ما يقوله "باشلار":«إذ ذاك ينبعث الشعور بتهيؤ العناصر اللازمة (مراقبة) من شأنها أن توقينا الإخلاص اللاعقلي لتلك

---

[1]-**غاستون باشلار** ،النار في التحليل النفسي، مصدر سبق ذكره ص 33.

[2]-**غاستون باشلار** ،شاعرية أحلام اليقظة ،تر: جرح سعيد ((ط1)، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات، 1991)، ص54.

الغايات والاعتراف بها كغايات عقلية »[1]فلكي نتخلص من الضرر الذي يأتينا من المشاعر التي تتخذ من الليبيدو، فهي مكانها اللاشعور يجب على الشخص الاعتراف بها لكي تنتقل إلى منطقة الشعور وتصبح أفكار واضحة ويزول الخطر .

وهذا ما نجده عند "فرويد" الذي يرى أن الأفعال اللاشعورية عبارة عن الدوافع الغريزية التي تسبب الأمراض النفسية مثل "الهستيريا" فالشهوة الجنسية التي يخفيها المريض في اللاشعور تصبح كبتا وتلك الأمراض عبارة عن إشباع لما هو موجود في اللاوعي من كبت جنسي بطريقة غير مباشرة ودور الوعي هو مراقبة اللاوعي لجعل الإنسان في الطريق السوي والصالح.

وبذلك يعتبر "باشلار" الليبيدو عائقا جنسيا للمعرفة العلمية لأنه قوة خطيرة تتكون من أفكار غامضة ولهذا اعتبر "باشلار" التحليل النفسي للاوعي العلمي يبتدئ بالشيء الغامض وليس بالواضح لأن الكبت شيء غامض ولذا يقول "باشلار" :« إليكم المخطط الذي سنسير عليه في هذا الفصل المعقد، ففي هذا العلم النفسي للاواعي العلمي سننطلق من الغامض إلى الواضح، وبالتالي في ملكوت الشهوانية يكون الغامض هو الأقوى».[2]

يعطي لنا "باشلار" مثالا عن العائق الجنسي في الطفل عندما يبدأ في إرادة اكتشاف أشياء من حوله ويود أن يطرح أسئلة وينتظر أجوبة من والداه مثال على ذلك ما يتعلق كيف ولد ،لكن والداه يجيبانه بتفسيرات غامضة وعشوائية،أو يمتنعان عن الرد على الأسئلة ،ولذلك يصبح الطفل يبحث عن السر الذي يخفيه والديه ومن هنا يبدأ الطفل في التفكير فالشهوانية السرية التي أخفاها والديه عليه جعلت الطفل يفكر بمفرده فبداية التفكير تعود إلى

---

[1]-**غاستون باشلار** ،العقلانية التطبيقية، مصدر سبق ذكره ،ص 152.
[2]-**غاستون باشلار** ،تكوين العقل العلمي، مصدر سبق ذكره ص 148.

العامل الجنسي وهذا ما قاله "باشلار" :« فإن كل ما هو سري يوقظ الشهوانية وعلى الفور يصبح السر محبوبا ».[1]

إن الفكر قبل العلمي كان يفسر هذا الأمر بشكل عشوائي وهذا ما يشكل عقبة أمام التطور العلمي وهذا ما قاله "باشلار" :« وهو في نهاية المطاف يشكل عقبة أمام ازدهار الفكر العلمي »[2]، وهذا نظرا للتعميمات السيئة التي يستخدمها في الفكر قبل العلمي.

إن التفسيرات العشوائية التي يقدمها الفكر قبل العلمي يمكن إن تكون مسار تفسيرات ذاتية أكثر منها عقلية ومرتبطة باستبهامات وخيالات وعليه دعا "باشلار" إلى تبني رؤية موضوعية ،و يتم الكشف عن البيئة اللاعقلانية التي تحكم مفاهيمها في أكثر الأحيان وتعكس امتدادا للتجربة الطفولة في التجربة العلمية .

وكما نجد "باشلار" لا يهتم بالأفكار البدائية لأن البدائيين كانوا يستخدمون الليبيدو بشكل كبير في حياتهم وفي ذلك الوقت المصدر الأهم لليبيدو هي النار ولهذا اعتبروها، مجنسة فالبحث ألنسقي عن المكبوتات الليبيدية في الحقيقة نجدها مرتبطة بأنشطة الإنسان البدائي وبذلك كان اكتشاف النار معنا جنسيا، بكل ما في الكلمة من دلالة ،والليبيدو وكما قلنا مكانها اللاوعي " وباشلار" يدعو إلى التخلص من كل الحدوس والتأملات اللاعقلانية في المعرفة،فإن التفسيرات قبل العلمية للظواهر تعرقل تطور المعرفة العلمية ومثال على ذلك كان في المرحلة قبل العلمية يتم المقارنة بين النار الضعيفة والنار القوية وبين الرجل القوي والرجل الضعيف في قضية التزاوج والتوالد، حيث يمكن للنار الضعيفة أن تشعل كومة كبيرة من الفحم مثلها مثل النار القوية، وهذا أيضا ما شبهه بالرجل الضعيف الذي يمكن أن ينجح في زواجه مثله مثل الرجل القوي لكن هذه التفسيرات لا تصلح أن تكون تفسيرات

---

[1]- نقلا عن: **عثماني عي**،بنية المعرفة العلمية عند غاستونباشلار،إشراف:لحظر مذبوح، (رسالة الماجستير غير منشورة)،قسنطينة ،2007،ص157

[2]-**غاستون باشلار** ،تكوين العقل العلمي، مصدر سبق ذكره ص 148.

علمية وموضوعية لأنها يمكن أن تعيق طريق تطور العلم وهذا ما قاله "باشلار": « ومثل هذه المقارنات خليقة بأن ترضي من لا بصيرة عنده، والحق إنها تشكل عقبات في طريق الثقافة العلمية دون أن تساعدنا على فهم الظاهرة».[1]

ومن أجل تحليل الفكر العلمي اللاوعي نفسيا يجب تحليل المشاعر الناتجة من قبل الليبيدو، ولهذا يدعو " باشلار" إلى البحث عن المكونات الليبيدية في نشاط الإنسان البدائي لأن التحليل النفسي الكلاسيكي للنار يحمل قيما متعددة والتي تحلل وتؤكد بالتأويل الجنسي فالنار تتميز بخصوبة كبيرة تؤخذ في أبعادها ومحدداتها الجنسية، اكتشاف النار مرتبط بدوافعه الأولى بوازع جنسي وهذه النار المجنسة ،والمفاهيم التي ارتبطت بها أحدثت اضطرابات وتشويشات من أجل الوصول إلى نتائج موضوعية خالية من معطيات الفكر قبل العلمي، وبالتالي فهي تشكل عقبة أمام كل فهم موضوعي وعقلاني لظاهرة مثل النار لهذا دعا "باشلار" إلى أن نخرج العقل الإنساني من كل هذا الرواسب المعرفية التي تجد جذورها وأصولها الأولى في الفكر العلمي ولكي يصل الباحث إلى نتائج صحيحة وجديدة يحتم عليه مقاربة الأشياء في مباشرتها والنار غامضة ليست مباشرة.

إن الباحثين دائما يعملون على إسقاط مجموعة من خصائص الكائن الحي على النار ولذلك يكون دور التحليل النفسي في الكشف عن تسرب مجموعة من الاعتقادات الخاطئة إلى الرؤية العلمية الموضوعية، فالنار المجنسة هي بامتياز صلة وصل بين جميع الرموز هكذا يعتبرها البدائيون فهي أساس جنسي الصانعة لأفعالهم.[2]

ومن هنا نجد الفكر العلمي يتحدث بلغة لم تسلم من الرموز الجنسية فالتفاعل الكيميائي يتخذ صبغه جنسية ونجد "باشلار" يعود إلى الطبيعة من خلال الغريزة الجنسية محاولا إزالة المكبوت العقلي من الفكر العلمي.[3]فهو يرى انه يجب تأويل الوعي للكبت

---

[1]-**غاستون باشلار** ،النار في التحليل النفسي، مصدر سبق ذكره، ص46.
[2]-**غاستون باشلار** ،النار في التحليل النفسي ، مصدر سبق ذكره، ص53.
[3]–**عثماني عي**، مرجع سبق ذكره، ص 158.

وبهذا نتجاوز علم النفس الكلاسيكي وذلك يعطي للذات قدرة كبيرة لتمييز الخطأ وتقويمه علميا وموضوعيا، وفي الفكر قبل العلمي كان الخطأ يشكل عرقلة لمسار الفكر العلمي وتشويشا على هدوء العقل.

إن الإبستيمولوجيا المعاصرة لديها قيمة تعليمية للعقل ومعيارية تتصل بالعقل الجديد الذي يقطع صلته بالثقافة قبل العلمية.

.إن التفسيرات البدائية حسب "باشلار" لا تلزم العقل العلمي كليا لأن التفسيرات آنذاك تتميز بالوضوح والبساطة الناتجة عن العقلانية الجافة والتفسير العقلاني العلمي مخالف كليا عن تلك التفسيرات البدائية ، ولكي يكون التفسير عقلانيا موضوعيا يجب أن يكون مستندا إلى التحليل النفسي ولذلك نجد من أهم مواضيعها ظاهرة النار و هي من أهم العوائق الجنسية التي تعرقل الإدراك السليم والموضوعي فهي قضية تمثل أهم الموضوعات التي أثارت انتباه العلماء.

فإن التفسيرات قبل العلمية كانت بسيطة، فالبدائيون لا ينظرون إلى الظاهرة تفسيرا فعليا وعلميا ،لهذا يرى "باشلار" إن هذه التفسيرات تعرقل مسار العلم وهذا ما قاله: « إن حدوس النار تشكل عائقا في طريق المعرفة ».[1]

يرى "باشلار" أنه لنسج معرفة حقيقية وصحيحة يجب أن تكون المعرفة العلمية منفصلة بشكل كلي عن الماضي غير العلمي لكل التاريخ المعرفي للنار باعتبارها عنصرا يتميز بخصوبة تؤخذ في أبعادها ومحدداتها الجنسية أي "الليبيدو" ،وتتجاوز الرؤية والأحاسيس الذاتية المستمدة من أحكام قبلية خاطئة ،إن التاريخ قبل العلمي مشحون بهذه القوة الشهوانية والتي تعتبر قوة جنسية واعتبرها "باشلار" عائقا يعيق تقدم الفكر العلمي والذي يسميه عائق "الليبيدو".[2]

---

[1]-المصدر نفسه، ص57.

[2]-**عثماني عي**، مرجع سبق ذكره، ص156.

"فابشلار" ينتقد الروح العلمية القديمة التي يظهر بأنها لا تلائم اكتشافات الإنسان المعاصر فالشروح للمواضيع القديمة لم تتم أبدا دراستها بشكل موضوعي والمثال على ذلك الكيميائيون الذين يقدمون شروح بسيطة غير مبنية على أسس علمية مثل قولهم "الزئبق عاقر" ولقد اتهمه القدامى بالعقم بسبب برودته، "فباشلار" يرى أن عقلا علميا إن كان مهندسا أو كيميائيا لن يجد في شروح كهذه أية مسألة ذات معنى أو خطة وصفية[1]، وهذه الأفكار البدائية لا تساهم أبدا في الفكر العلمي ،لهذا يعتبر الليبيدو عائق جنسي للمعرفة العلمية ، فكلما كان استبعادها مبكرا من البحث العلمي الموضوعي كلما كان المهام العلمي سهلا وواضحا ومنطقيا أكثر.

وأيضا أراد "باشلار" أن يبين لنا كيف تكون الليبيدو عائقا في طريق التقدم العلمي فأعطى لنا مثالا على ذلك أيضا في علم الكيمياء القديم الذي يرى أن المشاعر النفسية موجودة في الحالات العلمية مثلما هي موجودة في الحالات النفسية ونجد ذلك في حالة حب بين معدنين التي تبدأ من مداخلة القضيب المعدني الخامل والبارد وبعد ذلك تحت تأثير لهيب النار يمتزج المعدنان ويحمل الواحد من الأخر ويحققان اندماجا مطلق[2]، ولهذا تعتبر النار هي المصدر الأساسي لشهوانية "الليبيدو" لأنها هي التي جعلت المعدنان يصبحان مرنين ويندمجان بواسطة حرارتها.

لكن هذا التفسير يعتبره "باشلار" ساذجا وتفسيرا بسيطا غير مبني على مبادئ علمية تجريبية موضوعية فهو يعتبره شرحا مجازيا وليس علميا ،فالتجربة الكيميائية العلمية لا تحتاج إلى الشرح المجازي بل تحتاج إلى تجربة منظمة مبنية على قوانين علمية، ولهذا يعتبر الليبيدوعائقا في مسار المعرفة الموضوعية.

وكما قلنا من قبل أن "باشلار" يعتبر المعرفة القديمة لا تصلح أن تكون علما مثلما هو العلم المعاصر ،لأن المعرفة القديمة تحتوي على أفكار ساذجة وبسيطة ،وأعطى

---

[1]-**غاستون باشلار** ، تكوين العقل العلمي ،ص150 إلي 165

[2]-**غاستون باشلار**، إبستمولوجيا (نظرية المعرفة)،مصدر سبق ذكره ، ص215.

مثالاعلى ذلك عند السميائين* الذين يرون أن الياقوت نوعين إناث وذكور والياقوت المذكر هو الذي يلمع وتنتج نيران أكثر أما اليواقيت الإناث فهي تلمع أقل ،فهم يعطون حياة جنسية وصفة الأنوثة والذكرية للمعادن، مثل الذهب عندهم يوجد ذهب مذكر وذهب مؤنث ،والماس الذكر والماس المؤنث وبذلك جعلوا للشهوانية صورة واضحة حتى عند المعادن لهذا يرون أن العمليات السميائية بأنها مزوجات[1].وعند "باشلار" مثل هذه التأويلات والتحليلات لا تصلح أن تكون علما لأن المعرفة الحقيقية والصحيحة تفصلنا بشكل كلي عن الماضي غير العلمي لكل التاريخ المعرفي ،[2] ومن مضمون هذه الأمثلة يتبين لنا كم كانت المعرفة القديمة ساذجة وغير علمية ولا تصلح أن تكون ندا للمعرفة الجديدة التي هي كلها معرفة منظمة ومبنية على قوانين علمية منطقية وليست خيالية .

ولكي يبين لنا أكثر كيف تكون الليبيدو عائقا في طريق المعرفة العلمية أعطى مثالاأيضا على السيميائيةالتي أطلقت صفة الذكورة على ندى الخريف وصفة الأنوثة على ندى الربيع[3] ومثل هذه الشروح لا تعتبر شروحا علمية بل هي عبارة عن تشبيه أوتعبير مجازي ،ولكن المعرفة الموضوعية تحتاج إلى شروح علمية مدعومة بتجربة مبنية على القوانين المنطقية وليس التعبيرالمجازي ولهذا يعتبر "باشلار" هذه الشروح عبارة عن عوائق تعرقل الإدراك السليم والموضوعي للأشياء.

يرى "باشلار" أن السيميائيين في شروحهم للظواهر في العصر القديم غير مصحوبة بشروح موضوعية ،ولاتلائم العلم المعاصر الذي يتصف بالدقة العلمية والموضوعية مبنية على أفكار ناتجة عن التجربة المنظمة بقوانين علمية، ولهذا دعا "باشلار" إلى القضاء على كل ما يعيق تطور المعرفة العلمية ،مثال عائق الليبيدو الذي يعتبره عائقا أساسيا للتطور المعرفة العلمية،لأنالمشاعر المستوحاة من الشهوانية (الليبيدو) في أكثرمن الأحيان تعيق

---

*__السيمياء:__ السيميائية أو السيميو لوجيا هي دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية أو كشف العلامات الدلالية غير مرئية من خلال التجلي المباشر للواقعة أو هي الكيمياء القديمة وكانت غايتها تحويل المعارف الخسيسة إلى ذهب ،(سعيد بنكراد،السيميائيات :مفاهيمها وتطبيقاتها (ط3،سوريا ،دار الحوار ،2012،ص56)

[1]-**غاستون باشلار**، تكوين العقل العلمي ،مصدر سبق ذكره، ص153.

[2]-**سعيد بوخليط** ،غاستون باشلار (نحو نظرية في الأدب)،((ط1)،بيروت :دار الفارابي،2011)، ص111.

[3]-**غاستون باشلار**،تكوين العقل العلمي، مصدر سبق ذكره، ص148.

تطور المعرفة العلمية ،ولكي يبين لنا أكثر أعطى لنا مثال عن "روسو" عندما قام بالتجربة على الضفدع وضعه في وعاء عميق ،حيث لا يمكن للضفدع أن يهرب أو يخرج من الوعاء فهو بالطبع سيبذل كل جهده للخرج والهروب، وأثناء ذلك كان "روسو" يراقب جيدا ردة فعل الضفدع وما العوارض التي تظهر عليه فركز جيدا نظره إليه والضفدع أثناء محاولته للهرب استدار إلى "روسو" وهو بدوره ركز نظره إليه فانتابه خوف ورعب كبير من النظرة التي وجهها إليه "روسو" فنفخ جسمه واحمرت عينيه وسقط ميتا ذلك من الخوف الذي انتابه من نظرة "روسو" ،ففكرة الخوف مرعبة إلى حد الموت فخوف الضفدع من الإنسان وقف أنفاسه إلى حد الموت[1].

ولهذا قال "روسو":« لكن عندما أردت أن أقوم بإجراء نفس التجربة ،بعيدا تماما عن الضفدع الميت فلقد فكرت في موتي أنا شخصيا ،بعد أن حاول هذا الحيوان بلا جدوى أن يهرب ،استدار نحوي دون أن يتزحزح من مكانه ناظرا إليا دون أن يحرك عينيه لقد تملكني للحظة خوف كوني سحبني بشكل مفاجئ إلى درجة الغثيان ،لقد كنت في حالة تصور فيها من كانوا حولي أنني فارقت الحياة ،ولم يكن لديهم شيء يقدمونه إلي إلا ترياق مسحوق "فيبر" vipère جعلني أسترجع وعيي »[2]

ولو لم يفكر "روسو" في الخوف الذي ينتاب الضفدع أثناء محاولته للهرب لما حدث له ذلك ،والمشاعر التي تنتاب العالم أثناء قيامه بعلمه يمكن أن تكون عقبة تعود إلى الإخفاء في علمه، ولذلك على التحليل النفسي دراسة وتحليل تلك المشاعر التي تنبعث من الشهوانية "الليبيدو" لأنها قوة خطيرة ولهذا يقول "باشلار" : «كان لابد للتحليل كامل للاوعي العلمي من الشروع بدراسة للمشاعر مستوحاة نسبيا من الشهوانية "الليبيدو" ...إن هذا دون شك تحريف لإرادة القوة التي تعتبر وكما لها وامتلائها ،إرادة سيطرة على البشر...وبأنها خطيرة ».[3]

---

[1]-المصدر نفسه، ص167.
[2]-نقلا**غاستون باشلار** ، إبستمولوجيا (نظرية المعرفة) ، مصدر سبق ذكره ،ص213.
[3]-**غاستون باشلار** ،تكوين العقل العلمي،مصدر سبق ذكره ، ص167.

فالتحليل النفسي يجب أن يحلل الأفكار التي تكون في اللاوعي العلمي وذلك ليتخلص من العوائق التي تنتج منها لأنها خطيرة تعيق طريق المعرفة العلمية في تطورها وتقدمها.

فعند "باشلار" أثناء القيام بالعمل العلمي يجب على العالم التخلي كليا على مشاعره الذاتية جانبا لأنها يمكن أن تكون خطيرة وتقف عائقا أمام علمه ولا يتوصل إلى نتيجة مرضية بل يمكن أن توقف عمله العلمي في منتصف الطريق مثلما حدث مع "روسو".

وفي الأخير نستنتج من هذا الفصل أن "باشلار" فرضيته العامة في التحليل النفسي هي وجود حياة نفسية لاشعورية تؤثر في حياتنا النفسية الشعورية ،فالمحلل النفسي عند "باشلار" هدفه اكتشاف الحياة النفسية اللاشعورية التي قد تؤدي بالسلوك إلى الشذوذ أو المرض أي شأنه شأن "فرويد" ،فإن "باشلار" يفترض لدى الباحث العلمي مكبوتات عقلية وعلى المحلل أن يبحث في أثرها على العمل العلمي لهذا الباحث ،لأن ذلك يسهل عليه العمل والاستمرار في طريقه العملي ،ولهذا يدعو "باشلار" إلى ضرورة القيام بتحليل إبستيمولوجي متكامل مع علم النفس لأن الإبستيمولوجيا يمكن أن تستفيد من التحليل النفسي وذلك من أجل الوصول إلى المعرفة الموضوعية الأقرب إلى اليقين ،ولهذا بينلنا "باشلار "مدى أهمية القضاء على كل ما يعيق طريق المعرفة العلمية المتطورة ومن أهم هذه العوائق نجد "الليبيدو" الذي سبق وأن تكلمنا عليه في فصلنا هذا الذي بينا فيه مدى خطورته على حياة الفرد وكيف يمكن أن تجعله في مسار خاطئ فالليبيدو عبارة عن قوة مشاعر تتحول إلى مكبوتات ويمكن أن تعرقل طريق المعرفة العلمية ،وعلى المحلل أن يكتشفها وينقلها من مكانها الخفي لكي تصبح واضحة ولا ضرر منها ،ولهذا يعتبر "باشلار" التحليل النفسي يتكامل مع الإبستيمولوجيا ،فبالتحليل النفسي تصل الإبستيمولوجيا إلى أهدافها في تحليل المعرفة العلمية.

الخاتمـــــة

خاتمـــــــــة.

بعد تحليل أهم عناصر جوانب الإشكالية عبر مختلف مراحل البحث ننتهي إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها وهي كالأتي:

بالنسبة للفكر الإبستيمولوجي عند "باشلار" نلاحظ أنّه يمتاز بالعقلانية التجريبية بحيث لم ينحاز لا إلى الجانب العقلاني أي العقلانية ولا إلى الجانب التجريبي أي التجريبية بل ربط بينهما، ويرى أنهما متكاملان فلا يمكن أن تتخلى الواحدة منهما عن الأخرى، فالعقلانية التّطبيقية هي فلسفة تقوم على الحوار بين العقل والتجربة .

ولا يؤمن "باشلار" بعقل ثابت ولا وجود لمنهج شامل، والواقع عنده معقد ومركب من عناصر متعددة حيث يعتبر الأبستيمولوجيا دراسة نقدية والعلم يتقدم بناءًا على اكتشاف الخطأ في تلك المعرفة السابقة، فلا وجود لعقل ثابت يحكم على كل معارفنا وهو يرفض الانطلاق من مبادئ قبلية، وكما يرى أن الواقع الذي يدرسه العلم في تطور دائم وهو واقع مصطنع ومبني، لأنّ الواقع العلمي قد صار بنيات ولهذا يجب النّظر إلى الفلسفة العلمية بذاتها، ولا يجب أن نستخدم الأفكار القبلية ولا يجب الاعتماد على العلوم القبلية، ولأنّ العلم يتطور عن طريق قفزات وتجاوز العقبات الإبستيمولوجية وهذا ما يسميه "باشلار" بالقطيعة الإبستيمولوجية .

ويرى من خلالها أنّ القطيعة الإبستيمولوجية قائمة على الاحتواء، فالعلم الجديد يحتوي ما تجاوزه من تاريخ العلم الذي يعتبره أخطاء ولذلك يرى أنه توجد منظومتين مختلفتين في الحقل نفسه ولكل منظومة اتجاه واحد قديم والثاني جديد، ويرى أنّه لا وجود لقطيعة إبستيمولوجية حاسمة ونهائية ولكل زمن من المعرفة العلمية له قطيعة خاص به ومثال على ذلك الزمن المعاصر من المعرفة المعاصرة له قطيعة مع الزمن القديم من المعرفة القديمة لأنها لا تلائمه وهي مختلفة عنه، وهذه القطيعة عند "باشلار" يجب أن تكون موجودة لأنّه بسببها يتكون علما جديدا وهذا يكون باستمرار دون توقف لأنّ العلم الحقيقي يجب أن ينطلق من الحاضر وليس من الماضي .

فلذلك تكون الحقيقة العلمية نسبية، فالعقلانية العلمية عند "باشلار" ليست عقلانية منغلقة ونهائية وإنما عقلانية منفتحة تقوم على النفي والإثبات فالمهم عنده أن يكون العلم ذو

مجال مفتوح وفيه يجب على العالم أن يبدع باستمرار ويخلق أفكارا جديدة وهذه الأفكار تظهر كمنبع للعلوم ومجالات مختلفة ومتنوعة ومتطورة .

ولذلك أراد "باشلار" إنشاء جهاز مفاهيمي مختلف عن الجهاز المفاهيمي السابق مبني على نظريات علمية جديدة ومثال على ذلك النظريات اللاّإقيلدية واللاّديكارتية ...

والمعرفة عنده بنيوية وليست هناك حقيقة مطلقة ولا قانون علمي ثابت والعالم يجب أن يكون ذات شخصية مفتوحة على العلم والعالم وضد نوم العالم وغفلته ولا يكون جامدا، فالعلم نسبي ومتقدم وليس ثابت ويجب أن تكون هناك فقط حقيقة نسبية فقيمة الإبستيمولوجيا مرتبطة مع تطور الفكر العلمي.

فهو يعتبر البحث العلمي سجلا ضد الخطأ والحقيقة المحصلة تصحيحا لذلك الخطأ ، "فباشلار" رفض العلم الذي يرى نفسه كاملا، لأنّ لا وجود للعلم الكامل والعلم الذي له وجود هو العلم الذي يحتاج إلى تصحيح دائم دون توقف، وبذلك يتطور ويتقدم باستمرار أما العلم الكامل لا يمكن أن يتطور لأنّه كامل لا يحتاج إلى تصحيح وهذا ما يعتبره "باشلار" ليس علما لأنه لا يتقدم ولا يتطور بل هو جامد وهذا ينتج فقط الخمول والكسل في العلم.

فإبستيمولوجيا "باشلار" تمتاز بقيمها المتجددة مع تطور الفكر العلمي فهو لا ينظر إلى الواقع من حيث هي أفكار، بل يشجع فيلسوف العلم إلى السير تابعا مبدأ البحث عن أصول العلم وهي المتطلبات المتنوعة التي تحفزه بالعمل ويأتي بمظهر جديد للمعرفة العلمية ولهذا يجب على العالم أن يعاصر فترته من التاريخ وينتبه إلى الظواهر التي تتجدد بكل فترة من الزمن وهذا ليكون بناء العلم متقدم دون توقف.

ومن أجل ذلك حاول "باشلار" الاستفادة من نظرية التحليل النفسي من أجل فهمٍ أعمق لعملية المعرفة العلمية، فهو يرى أنّها توجد علاقة وطيدة بين الإبستيمولوجيا والتحليل النفسي لأنّ عملية المعرفة تتم في شروط نفسية ينبغي الكشف عنها، ولهذا دعا "باشلار" إلى التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية لأنه توجد نفسية لاشعورية تؤثر في حياتنا النفسية الشعورية وتؤدي إلى الشذوذ والأمراض وعلى التحليل النفسي معالجتها.

ومن هنا نجد "باشلار" اتخذ نفس المبدأ الذي أخذه "فرويد" حيث افترض "باشلار"أن للباحث العلمي مكبوتات عقلية وعلى التحليل النفسي أن يدرسها ويبحث في أثارها من أجل تحقيق عمل علمي ناجح، وعلى فيلسوف العلم أن يبين الأثر النفسي للثورة المعرفية وإبراز القيم الإبستيمولوجية من حيث هي قيم عقلية ونفسية وأن يحلل الجانب العلمي ليبرز جانبه الخفي ومدى أهمية العمل العلمي.

وكما أن هناك مكبوتات تُعيق الحياة النفسية عند الشخص، وهناك عوائق في طريق المعرفة العلمية وعوائق تأتي من داخل العمل العلمي وتنبثق منه، ولهذا دعا "باشلار" إلى ضرورة القيام بتحليل إبستيمولوجي يكون فيه هذا التحليل في تكامل مع علم إنساني وهو علم النفس لأن الإبستيمولوجيا يمكن أن تستفيد من التحليل النفسي من أجل الوصول إلى تحليل المعرفة.

وفي الأخير يمكن أن نقول تكمن أهمية "باشلار" في كونه قدم فلسفة علم جديدة للفكر العلمي من خلال دراسته للإبستيمولوجيا وإمكانيته للخروج من نظرية معرفية منغلقة إلى نظرية علمية منفتحة وهذا الخروج يحقق فكرا علميا جديدا الذي طالما حلم بتحقيقه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ. المصادر:

1- باشلار، غاستون ، تكوين العقل العلمي، تر: خليل أحمد خليل، (ط1)، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1981.

2- ———، الفكر العلمي الجديد، تر: عادل العوا، (ط2)، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، 1983

3- ———، النار في التحليل النفسي، تر: نهاد خياطة، (ط1)، بيروت، لبنان، دار الاندلس، 1984

4- ———، العقلانية التطبيقية، تر: بسام الهاشم، (ط1)، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1984.

5- ——— ، فلسفة الرفض، تر: خليل أحمد خليل (ط1)، منتدى سور الأزبكية، دار الحداثة، 1985.

6- ———، حدس اللحظة، تر: رضا عزوز، عبد العزيز زمزم، (دط)، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة، (آفاق عربية)، 1986.

7- ———، إبستمولوجيا (نظرية المعرفة) ، تر :درويش الخلوجي ، (ط1) بيروت :دار المستقبل العربي ،1988

8- ———، لهب شمعة، تر: مي عبد الكريم محمود، (ط1)، عمان: أزمنة للنشر والتوزيع،(دت).

9- ——— ، جماليات الصورة، تر: الإمام غادة ،(ط1)، بيروت، التنوير، 2010.

10- فرويد، سيقموند ، تفسير الأحلام ، تر: نظمي لوقما، (د ط)، دار الهلال: سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع، 1962.

11- ———،التحليل النفسي للهيستريا ، تر: جورج طرابيشي، (ط1) بيروت، دار الطليعة 1964

12- ——— ، قلق في الحضارة ، تر: جورج طرابيشي، (ط1) بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر1977

13- ——— ، الهذيان والأحلام في الفن ، تر: جورج طرابيشي، (ط1) بيروت، الطليعة، 1978.

14- ———— ، الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، (ط4) الكويت، دار الشروق، 1982.

15- ———— ، الحياة الجنسية ، تر: جورج طرابيشي، (ط1) بيروت: دار الطليعة 1982.

16-——— ،الموجز في التحليل النفسي، تر: سامي محمود علي مكتبة الأسرة مهرجان القراءة للجميع، 2000

17- ———،حياتي والتحليل النفسي ، تر: مصطفى عبد المنعم المليحي،(دط)،الإسكندرية: دار المعارف(دت).

ب - المراجع:

1- أسوان، بول لوران ، التحليل النفسي، تر: محمد سبيلا، (ط2) الرباط: منشورات الزمن، 2005.

2- إبراهيم،عبد الستار ، الإنسان وعلم النفس، عالم المعرفة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1985.

3- بنروبي، الفلسفة المعاصرة في فرنسا، تر: عبد الرحمان بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1964.

4- بوبر، كارل ، بحثا عن عالم أفضل، تر: أحمد مستجير، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة، 1999.

5- بياجيه ،جانه، الإبستمولوجيا التكونية، تر: السيد نفاذي، (دط)، القاهرة:دمشق دار التكوين، دار العالم الثالث، 2004.

6- بوخليط ،سعيد ،غاستون باشلار (نحو نظرية في الأدب)، (ط1)،بيروت :دار الفارابي،2011.

7-الجابري ،محمد عابد ، مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، (دط)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية (دت).

8- ديكارت ،رينيه ، مقال عن المنهج، تر: محمود الخضيري (ط2)، القاهرة: دار الكتاب العربية، 1968.

9-——— ، العالم أو كتاب النور، تر: إميل خوري (ط1)، بيروت: دار المنتخب العربي، 1999.

10- دورتيي، جان فرانسوا ، فلسفات عصرنا،تياراتها، مذاهبها، أعلامها، وقضاياها، تر: إبراهيم صحراوي (ط1)، بيروت، دار العربية منشورات الإختلاف، 2009.

11-هيلي ،باتريك ، صور المعرفة، مقدمة لفلسفة العلم المعاصر، تر: نور الدين شيخ عبيد، (ط1)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008.

12- وقيدي، محمد ، ما هي الإبستمولوجيا (ط1)، بيروت، دار الحداثة، 1983.

13- وايلد ،يجالد ، علم النفس وكيف أن يساعد، تر: عبد العزيز جادوا ،الإسكندرية: المكتبة الجامعية الأزاربيطة، 2001.

14- وولف، فلسفة المحدثين والمعاصرين، تر: أبو العلا (ط2)، مكتب الإسكندرية: سلسلة المعارف العامة، (دت).

15- زقزوق، محمود حمري ، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، القاهرة: دار المعارف، 1119.

16- حسين ،شعبان، ،برنشيفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم ، دراسة نقدية مقارنة (ط1)،بيروت ، دار التنوير للطباعة والنشر 1993

17- طه، فرج عبد القادر ، علم النفس وقضايا العصر، (ط1) القاهرة: دار المعارف كوزنييش النيل، 1919.

18- يونغ، كارل غوستاف ، دور اللاشعور ومعنى علم النفس للإنسان الحديث، تر: نهاد خياطة، (ط1)، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1992.

19- كانغيلام ،جورج ، دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، تر: محمد بن ساسي، (ط1)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007

20- كليمان ،كاترين: التحليل النفسي، تر: محمد سبيلا حسن أحجيج (دط) دار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة 2004.

21- لاكان ،جاك ، إغواء التحليل النفسي، تر: عبد المقصود عبد الكريم ،المشروع القومي للترجمة والمجلس الأعلى للثقافة 1999.

22- ليشته، جون ، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، تر: فاتن لبستاني، (ط1)، بيروت، المنظمة العربية، 2008.

23- مجموعة من مؤلفين، مراجع الشخصية الهو، الأنا، الأنا الأعلى، تر: وحيد أسعد (دط)، دمشق: منشورات وزارة الثقافة،، 2002

24- **السكري ،عادل** ، نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة، تر: حامد عمار، (ط)1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1999.

25- سبيلا، محمد ، الفلسفة الحديثة، "نصوص مختارة"، تر: عبد السلام بن عبد العالي، (دط)، بيروت،:إفريقيا الشرق، 2001.

26- عامود، بدر الدين، علم النفس في القرن العشرين، (د.ط)، دمشق: منشورات إتحاد الكتاب العرب، 2001.

27-عزيزي، رفيق ،شوبنهور وفلسفة التشاؤم، (ط1)، بيروت: دار الغرابي 2008.

28- فروم ،إريك ، أزمة التحليل النفسي، تر: طلال عتريسي (ط1) بيروت: المؤسسة الجامعية 1988، ص19.

29- شوبنهور،العالم إرادة وتمثلا، تر: فؤاد زكريا ،مكتبة الأسرة :مهرجان القراءة للجميع، 1994.

30- شريف، بن زينب ، الفلسفة المعاصرة، جدل التموقع والتوسع: تر: سمير باكفيف، (ط1)، الرباط: دار الأمان، 2015.

31- الخولي ،يعنى طريف ، فلسفة العلم في القرن العشرين، الأصول- الحصاد- الآفاق المستقبلية، سلسلة عالم المعرفة، ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، 2000.

32- ڤال ،جان ، الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر، تر: فؤاد كامل، (دط)، القاهرة، دار الثقافة والتوزيع.

ج-الموسوعات:

1- لالاند ،أندريه ، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول A-G ، تر: خليل أحمد خليل، ط2 بيروت-لبنان: منشورات عويدات، 2001،.

د- المعاجم:

1- الحفني ،عبد المنعم : المعجم الموسوعي للتحليل النفسي، (ط1)، بيروت: دار نوبليس 2005.

2- مدكور، إبراهيم ، المعجم الفلسفي، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية 1983، المادة "التحليل النفسي".

3- عبد القادر طه ،فرج وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي (ط1)، بيروت: دار النهضة العربية، 1936 المادة "الشعور

4- صليبا،جميل ، المعجم الفلسفي: بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، الجزء الأول، (دط)، بيروت: لبنان، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، 1982.

د- الدوريات:

1- جابر، ملكية ، إسهام الإبستمولوجيا في تعليمية علم الاجتماع، مجلة، العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، العدد الثامن جوان 2012 ،ص402

2-هاشم، رافد قاسم ، إبستمولوجيا المعرفة عند باشلار،مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، جامعة بابل،2013.

3- الموسوي، رضا ، التحليل النفسي بين حداثة فرويد وما يعد حداثة الفرويديين الجدد، أراء وأفكار، العدد 882، السبت 24 فيفري 2007.

ه- الرسائل :

1-**عي ،عثمان**،بنية المعرفة العلمية عند غاستون باشلار إشراف:لحظر مذبوح، رسالة الماجستير غير منشورة ،قسنطينة ،2007

2- **نحوي، عائشة**: العلاج النفسي عن طريق البرمجة العصبية اللغوية،إشراف: محمد شلبي رسالة الدكتوراه غير منشورة، جامعة الإخوة قسنطينة، 2009.

3- **نسيمة، براق** ، الجابري بين ناقديه مقاربة إبستيمولوجيا في نقد جورج طرابيشي،إشراف:خير الدين دعيش ،مذكرة الماجستير غير منشورة، جامعة سطيف، 2013

الفهرس

الصفحة

مقدمة .....أ
الفصل الأول: التحليل النفسي والإبستيمولوجيا
تمهيد.....9
المبحث الأول: التحليل النفسي.....10
أ- مفهوم التحليل النفسي.....10
ب- ظهور التحليل النفسي.....10
ج- تطور التحليل النفسي و الانتقادات الموجهة إليه.....21
المبحث الثاني:الإبستيمولوجيا.....
أ- مفهوم الإبستيمولوجيا.....25
ب- ظهور الإبستيمولوجيا.....27
ج-بين نظرية المعرفة والإبستيمولوجيا.....29
الفصل الثاني: إبستيمولوجيا باشلار
تمهيد.....35
المبحث الاول: الفكرالإبستيمولوجي الباشلاري.....36
المبحث الثاني: الإبستيمولوجيا اللاديكارتية.....43
المبحث الثالث: العائق الإبستيمولوجي.....47
المبحث الرابع : الفلسفة المفتوحة.....,54

الفصل الثالث:توظيف باشلار للتحليل النفسي في الإبستيمولوجيا.
تمهيد.....59
المبحث الاول : عناصر التحليل النفسي الباشلاري 60
المبحث الثاني:الموضوعية العلمية و التحليل النفسي.....65
المبحث الثالث :الليبيدو والمعرفة الموضوعية.....69

الخاتمة.....79
قائمة المصادر والمراجع.....83
فهرس المواضيع.....89